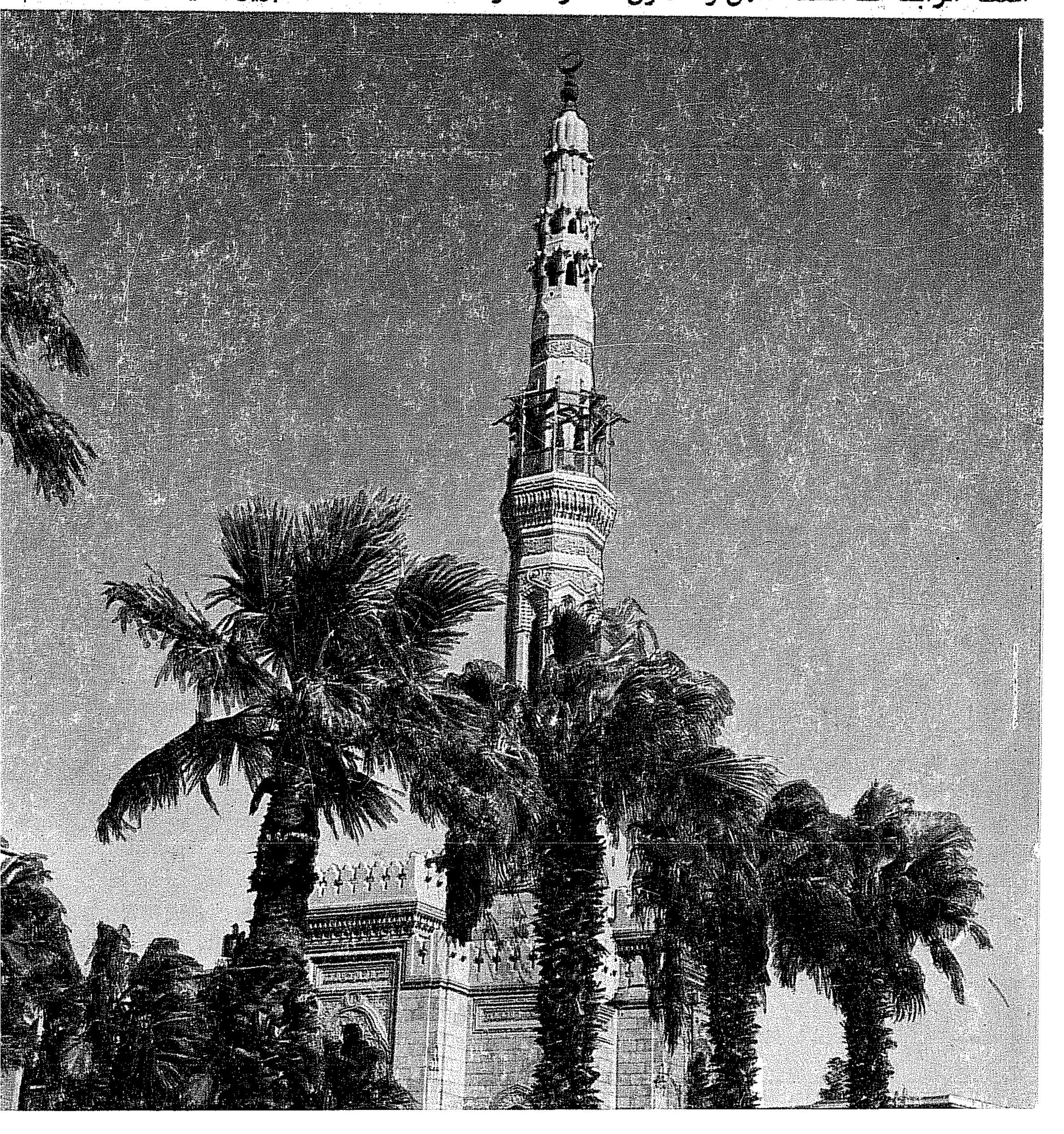
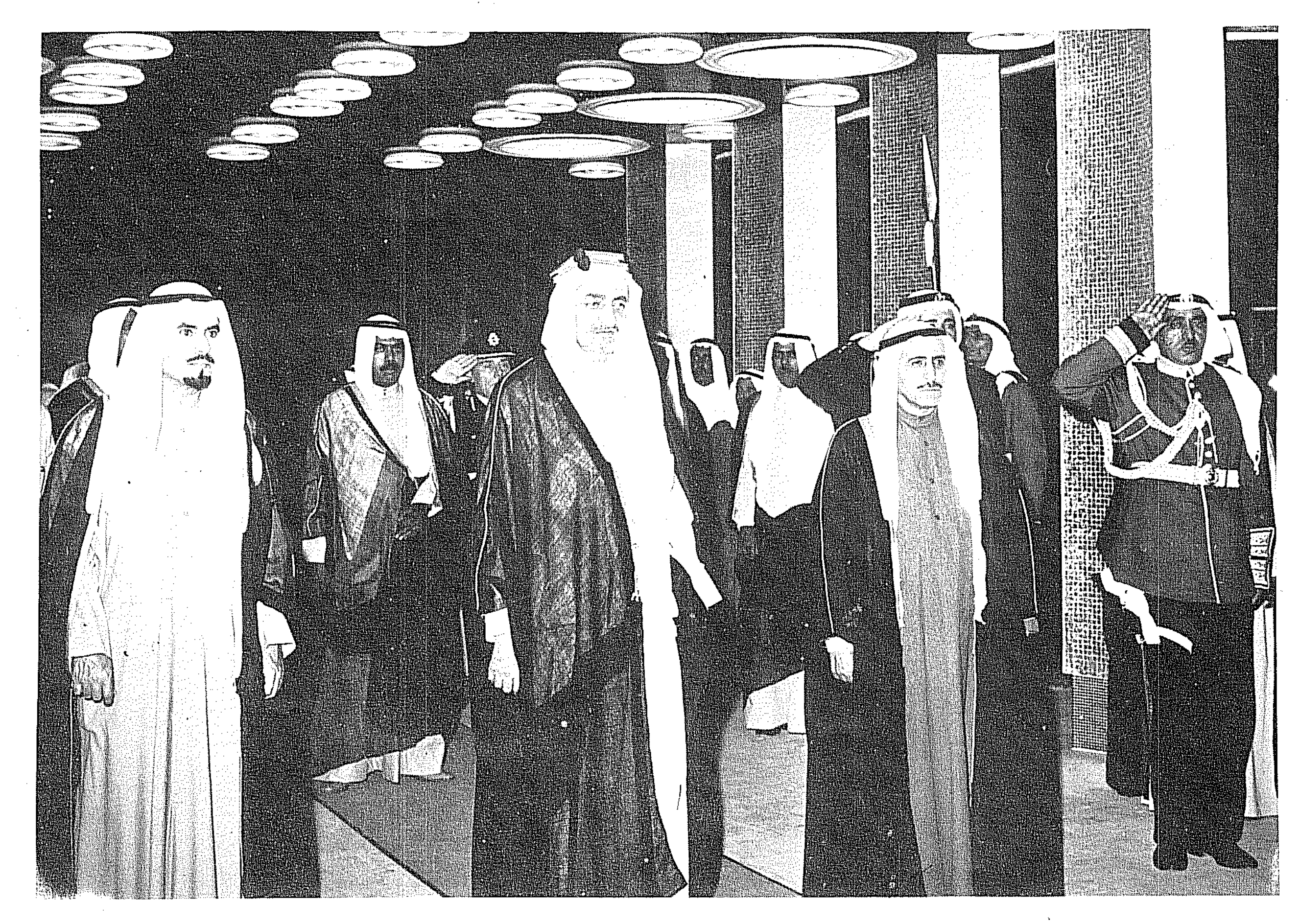
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة — العدد الثامن والثلاثون — غرة صفر سنة ١٣٨٨ هـ — ابريل « نيسان » ١٩٦٨ م





سمو أمير البلاد المعظم وجلالة الملك فيصل المعظم فى مادبة العشـــاء الكبرى التى أقامها سمو الأمير المعظم على شرف ضيفه الكبير فى قصر المسيلة العامر .

صورة الغلاف



مسجد القائد ابراهيم

من أفخم المساجد التى بنيت حديثا فى مدينة الاسكندرية ويعد تحفة من روائع العمارة الاسلامية ، ويمتاز بجمال موقعه ، وتطل مئذنته الشاهقة على البحر الأبيض المتوسط .

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن والثلاثون

ـ السنة الرابعة ـ

غرة صفر سنة ١٣٨٨ هـ

ابريل « نيسان » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

كلمة معالي وزير الأوقاف في الاحتفال بذكرى الهجرة.

اقامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوى بذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام فى مسجد السوق الكبير وتولت .الاذاعة والتليفزيون نقل هـذا الاحتفال وقد افتتحه سعادة الوزير عبد الله المشارى الروضان بهذه الكلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسـلام على سيدنا محمد نبى الهجرة والجهاد وعلى آله وصحبه .

نعيش هذه الساعات المباركة ، فى استقبال عامنا الجديد ، وفى ظلال ذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، حينما غادر أحب البلاد اليه ، مكة المكرمة قبل ان تصبح دار أسلام ، مع النخبة المختارة من أصحابه السـابقين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضـلا من الله ورضـوانا ، متجهين الى المدينة المنورة حيث توفرت البيئة الصالحة لحماية الدعوة والداعية .. وقيض الله لهم من أهلها انصارا مخلصين ، يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صـدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فارتحل عليه الصلاة والسـلام مع أصـحابه تاركين ديارهم واموالهم ، مؤملين ما عند الله من عوض طيب واثقين بما وعدهم من نصر وتأييد .

نتيجة ما قدموه من صـبر وتحمل وجهـاد .. وقد وصف الله ـ عز



وجل ــ هــذه الحــال واثر الهجرة فيها فقال (واذكروا اذ انتم قليل مســتضعفون فى الأرض تخــافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) .

واننا كلما استقبلنا عاما هجــريا جديدا ، تداعت الى خواطرنا تلك المواقف الخالدة من رسول الله وأصحابه ، واستلهمنا من وحى تلك الذكرى روح الجهاد وبذل النفس والنفيس ، لنشر دعوة الاسلام ، وحماية دياره من كيد الظالمين ، والقضاء على الاطماع الصــــهيونية الغادرة .. تلك الاطماع التى تمتد الى دار الهجرة نفســـها ، وهى الارض التى طهرها النبى عليه الصلاة والســـلام من دنس اليهود الماكرين ، بعد أن لقى الأهوال من كيدهم ومؤامراتهم .

فلنذكر دائما أن مكمن الخطر فى اليهود ، وأن شرهم الذى كان متوقعا أصبح اليوم واقعا ، فها هم قد دنسوا مدينة القدس الخالدة .. والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وها هى آثار عدوانهم ما تزال ماثلة ونواياهم التوسعية تتجسم فى اعتداءاتهم المتكررة ، ففى كل يوم لهم ســــطو على ممتلكات الأفراد ، وعدوان على مخيمات اللاجئين العزل ، وهجمات على ديار المســـلمين ، يجوســـون خلالها

بالنار والحديد مستأسدين على الآمنين من النســــاء والأطفال تقتيلا وتشريدا ، بعد أن أقض مضاجعهم نضال الفدائيين واقتناصهم رؤوس الشر ، وزاد غيظهم صمود المجاهدين على الثغور يقتلون من العــدو المتجاسر ما لم يكن فى حســـبانه ويقضى نحبه منهم من كتب الله له الشهادة وصدق ما عاهد الله عليه .. فتحية من عند الله الى أرواح الشهداء وبارك الله فى المرابطين على الثغور ، ونصر المجاهدين فى كل واد من ربوعنا .. فيتحتم الآن على المســـلمين فى جميع بقاع الأرض ، أن يستنفروا كل قواهم للذود عن ديار الاســلام وتخليص مسرى رسول الله وحماية ديارهم ، وذلك لا يتحقق الا بالعــودة الى دين الله والاستمساك بالعروة الوثقى كتاب الله وهدى رســوله .. واحياء روح الجهاد بالنفس والمال لنعيد ذكرى معــارك الاســـلام الخالدة .

هذا وان ذكرى الهجرة مليئة بالدروس الحية فى كل وقائعها ، من الصبر والتضحية والبذل والتآخى والمشاطرة .

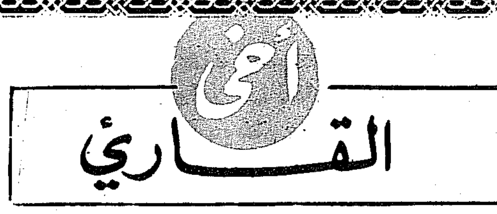
وجدير بنا أن نذكر بالاكبــار والتقــدير ذلك الرعيل الأول من الصحابة ممن أدوا دورهم كاملا بالهجرة والنصرة والجهاد ، وجعلوا من أنفسهم وقودا لدعوة الاســـلام ، حتى غدت منارا خالدا على مر الزمن .. يهدى الانسانية التائهة الى سواء السبيل .. ومن أجل هذا نحيى تلك الذكرى المجيــدة ، امتثالا للتوجيه الالهى الكريم اذ يقول : ((وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)) .

ويقول (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

وفى الختام .. لا يسعنى فى هذه الذكرى الا أن أرفع أســمى آيات التقدير والاحترام الى مقام حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم وولى عهده والشعب الكريم .

راجيا المولى العلى القدير أن يعيد هذه الذكرى على المســلمين والعرب ، وقد تحررت أوطانهم وتأكد انتصارهم وتحقق ما يصبون اليه من عزة وتقدم ورقى وازدهار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كتبت مجلة ((الحوادث)) اللبنانية تقول : ان الحاخام الاكبر فى اسرائيل منع زواج بنت رئيس الوزراء السابق (بن جوريون) من ضابط يهودى .. وذلك لأن أمها كانت مسيحية وتهودت ، ولكنها لم تثبت يهوديتها . وقدم بن جوريون شهادات تثبت أنها تهودت عند زواجه بها منذ (٢٥) عاما فى بريطانيا ، ولــكن الحاخام لم يعترف بهذا ، وفشلت كل الجهود التى بذلها رئيس الوزراء السابق وانصاره وكبار المسئولين لتسهيل الاجراءات ، فلم تجد زوجة بن جوريون وابنته بدا من الانصياع ، وتقديم طلب اشهار يهوديتهما وللحــاخام أن يقبل الطلب أو يرفضه بعد ذلك ..

خبر له معان متعددة يهمنا منها :

١ ـــ أن الحاخام وقف فى وجه تيار رئيس الوزراء السابق وانصاره وكبار المسئولين ، وتمسك بوجهة نظره الدينية ، ورفض كل الشهادات التى قدمت له ، وكان من الممكن أن يعتمدها ويجامل ، ولكنه أبى ..

٢ ـــ أن رئيس الوزراء السابق اضطر للخضوع لرأى الحاخام الاكبر ، وتنفيذ ما يراه من وجهة نظره الدينية ، دون أن يتطاول عليه ويرميه بالجمود والتأخر وغير ذلك من الالفاظ المشابهة !!!

ومعنى هذا وذاك كما قالت المجلة ((أن الحاخام يتمتع بنفوذ ســياسى (وصحته دينى) قوى أكثر بكثير مما تتمتع به اية شخصية دينية فى العالم)) .

وهذا معنى واضح من الخبر . وقد عللت المجلة لهذا النفوذ فقالت : ((لأن مثل هذا النفوذ هو جزء سياسى ضرورى فى الحركة الصهيونية لتعبئة اليهود ، سواء لتلبية نداء الهجرة أو لغير ذلك من القضايا)) .

واضيف الى هذا أن الدولة كلها تقوم على اساس دينى ، وكل حركة فيها تنبعث أصلا من العقيدة الدينية ، وهذا هو السر فى هذا التجمع الغريب من نوعه على أرض اسرائيل : وطن يضم أشتاتا لا تلتقى فى جنس ، ولا لغة ، ولا ثقافة ، ولا منبت ، يعنى كل أسباب التفرقة والتشتت متوفرة بينها ، لكنها مع هذا متآلفة متعاونة بصورة غريبة .

وسبب ذلك شىء واحد . هو : العقيدة الدينية التى جمعتهم ، وحملتهم على أن يتركوا رفاهية أوربا وأمريكا ليعيشوا فى صحراء النقب ، وفى أماكن لم يطرقها انسان من آلاف السنين .

ونحن لا ندهش لهــــذا كما يدهش بعض الناس ، فقد عرفنا ما فعلته العقيدة الدينيــة فى نفوس العرب ، حين جاء الاســلام ، فقاموا بما يشبه المعجزات .

ولكننا نندهش لأننا ـــ مع هذه الشواهد من الماضى والحاضر على ما تفعله العقيدة ـــ نجد بعض الناس يحملون ـــ لحاجة فى نفوسهم ـــ على مُجتمع يقوم على العقيدة الدينية ، وبعض آخر يخشى أن يعلن تمسكه بدينه ، خوفا من أن يتهم بانه غير عصرى ، وغير متمدن !! فى الوقت الذى نجد فيه دولا تقوم على عقيدة لا دينية ، وتجعل ذلك أساس وجودها وبرنامج عملها .. وتجد (دلاديل) لها فى كل مكان حتى من بين المسلمين ـــ مع الاسف الشديد !!

وهؤلاء المسلمون بشهادة الميلاد ، هم اشد الناس تحمسا لمهاجمة قيـــام دولة على أساس من العقيدة الاسلامية ، بحجة أن ذلك تعصب دينى لا يليق بالقرن العشرين !! فى الوقت الذى يدينون فيه بعقيدة يتفانون فى العمل لها ، وينسون دينهم وأصولهم وتاريخهم ويتنكرون لكل ذلك من أجلها !!

وسبب تحمسهم هذا مفهوم ، لأن قيام المجتمع على أساس التعاليم الدينية سيجعله ينفض كل خبث يأتى من الشرق أو الغرب . وليس ذلك من صالحهم !

ارايت ـــ أخى المسلم ـــ فى كل مكان هذه اللعبة التى يخوفونك بها : التعصب ؟! ويريدون أن يحملوك باسمها على التنصل من ولائك لدينك وأمجادك ، والتجرد من العقيدة الكريمة التى تصلك بخالقك ، وتوفر لك القوة والعزة ، فى الوقت الذى يدينون هم فيه بالولاء لغير ربهم وغير أرضهم وتاريخهم وأمجادهم !!

وهذه اسرائيل قامت على أساس دينى مستمد كله من التوراة .. اللغة العبرية التى كانت من الاثريات بعثوها ، لأنها لغة دينهم . والاسماء العبرية للأماكن كما جاءت فى التوراة أطلقوها .. والخطوات التى رسمتها التوراة ، والتوجيهات التى جاءت بها ، كل ذلك يتمسكون به ، ويسيرون على هديه .. وقد ذكرت لك فى عدد سابق ما صرح به بن جوريون نفسه : (من أن الاماكن التى ذكرتها التوراة لا بد أن يحصلوا عليها ويحتلوها) . لم نجد منهم واحـــدا يخجل من الاعلان عن نفسه بانه يتبع التوراة ، ولم نجد الدولة نفسها تتحاشى ذلك ، بل ان زعماءها وقادتها يعلنونه ، ويفخرون أمام العالم كله به ..

لم يعملوا حســـــابا لأحد يتهمهم بأنهم : متعصـــــبون دينيون ، أو غير عصريين .

ولم يحجموا عن اعلان تمســـكهم بدينهم ، خوفا من أن يقـــــال عنهم : متاخرون !!

بل مضوا فى سبيلهم ، وجمعوا اليهود من أنحاء العالم بســــــلاح الدين والعقيدة .. وساروا جميعا فى الطريق باسم اعادة أمجادهم وتاريخهم القديم ، وأرضهم ـــ أرض الميعاد ـــ !! وأقبلوا على العلم والتبحر فيه ، والتخصص فى كل فروعه ، وسبقونا وسبقوا الكثيرين فى العلم والاختراعات و « التكنولوجيا » فلم تعقهم عقيدتهم التى يتمسكون بها عن ميدان السبق فى العلم والصناعة ..

فهل وجدنا فى العالم كله من يخاصمهم ، لأنهم اقاموا دولتهم على أساس دينى ، وساروا على هدى من كتابهم المقدس ؟! لا ..

حتى الذين كان المفروض فيهم الا يلتقوا معهم ، لمـــا فعلوه بعيسى عليه السلام ـــ تلاقوا معهم ، وكانوا ـــ ولا يزالون ـــ أكبر عون لهم علينا !!

ولو كان الاسلام حقيقة دين تاخر وجمود ـ كما يزعمون ـ لكان لهؤلاء الذين يخشون احياء تعاليمه او الذين ينفرون أو ينفرون الناس منه عذرهم !!

ولكن الاسلام بعقيدته وتعاليمه أكبر دافع على التقدم والنبوغ ، فى كل جانب تعرفه البشرية ..

فان كنا نريد حرية فالاسلام أبو الحرية بمعناها الحقيقى لا بمعناها المصطنع الذى نراه في عالمنا الآن ..

وان كنا نريد عدالة اجتماعية فالاسلام قد سبق بتحقيقها منذ أربعة عشر قرنا ، على صورة لا يزال العالم بأفكاره قاصرا حتى عن القرب من ظلالها .

وان كنا نريد كرامة ، فالاسلام هو الذى حقق ويحقق أسمى معانى الكرامة للانسان ..

وان كنا نريد قوة وعزة ، فالاسلام دين القوة والعزة .

وان كنا نريد علما ، فالاسلام هو الدين الحى الذى يقوم على العقل ، ويحرص على التبحر فى كل علم .

ولا أريد هنا أن ألجأ الى شواهد لذلك كله فقد تكفلت الكتب به ، وأصبح أمرا معروفا حتى لدى المنصفين من علماء الغرب .

ولكنى أريد أن أذكر فقط شاهدا واحدا من القرآن ، ذلك هو الامر الذى وجهه الله لنا فى قوله تعالى : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)) .

هذا الامر وحده كاف لأن يقيم أقوى دولة وأعزها ، على احدث طريقة عصرية فى اى مكان وأى زمان ..

فهو يوجب على المسلمين أن تكون فى أيديهم أكبر قوة فى العالم ترهب ولا ترهب ، تخيف ولا تخاف ، بحيث يكون لهم النفوذ الاول والاعلى فى هذا العالم ، دون استغلال هذه القوة طبعا فى الاعتداء والصلف ، لأن الله لا يحب المعتدين .

فهل يمكن تحقيق امر الله هذا الآن مثلا ، دون أن يكون المسلمون اسبق الناس وصولا للقمر ، وأقواهم علما واختراعا وصناعة واقتصادا وخلقا ؟ أو بمعنى جامع أقوى الناس فى كل جانب من جوانب الحياة ؟

وهذا أمر واجب التنفيذ لا مجرد اشارة من بعيد ..

آية واحدة يمكن ان نجعلها شعارا لأقوى دولة فى العالم ، ومنارا لها الى هذه القوة ..

فالاسلام ـ اذن ـ لا يقبل تلك الافتراءات التى يوجهها اليه بعض ابنائه ، من انه دين تأخر أو جمود .. الخ ..

وليس لمسلم أى مسلم العذر فى بعده عن الاسلام ..

ولقد ظل المسلمون عشرات او مئات السنين يعيشون كالايتام على مآدب اللئام . مآدب الغرب والشرق . وهم وجلون من الاقبال على دينهم ، متجهون الى غيره ، فما الذى استفادوه طوال هذه السنين ؟.

وهذه اسرائيل تعلن وتفخر بانها دولة دينية ، تقوم على اساس التوراة وتعاليمها .. فما الذى ضرها ؟.

وهذا هو الحاخام الاكبر فيها يتمتع بسلطة دينية لا تتمتع بها أية شخصية دينية فى العالم . والدولة نفسها هى التى تساعده على هذا وتخضع له .. لأنها فى حاجة فعلا الى سلطة دينية تساندها وتستنفر كل القوى لمؤازرتها .. فهل خسرت شيئا بتدعيم النفوذ الدينى فيها ؟.

ان الروح الدينية هى أكبر حافز على النهوض ومجابهة الاخطار ، ولقد عرفت اسرائيل كيف تستفيد منها ، وتستغلها فى السطو على أرضنا ، وفى تثبيت أقدامها على بطوننا ، كما عرفت كيف تستفيد من بعدنا عن ديننا ، ومما نرتكبه من أخطاء وحماقات واختلافات !!

ومن قبل استطاع المسلمون أن يهزموا جحافل الغرب التى هاجمتهم باسم العقيدة ، ويطهروا بلادهم منها ، لأنهم قابلوا العقيدة بالعقيدة ، وكان هتافهم : الله أكبر .. وفى مقدمتهم قائدهم يصيح : وا اسلاماه ..

وقد ذكرت مجلة (الحوادث) أيضا أن هذا الحاخام هو الذى أصدر الفتوى التى تقول : ان كل يهودى يقبل اخلاء شبر واحد من الاراضى المحتلة — الاراضى العربية — يعتبر كافرا ، لأن هذه الاراضى المحتلة تقع جميعها فى أرض الميعاد ، ولا يملك أى يهودى حق تسليم ذرة واحدة من هذه الاراضى ، الا اذا كان كافرا)) .

((وكانت هذه الفتوى هى السبب فى أن ٩٤ فى المائة من الاسرائيليين عارضوا الانسحاب فى آخر احصاء بين الرأى العام ، وكانت هذه النسبة أقل بكثير قبل أن يصدر الحاخام الاكبر فتواه هذه)) .

أرأيت كيف يتغلغل النفوذ الدينى فى نفوسهم ، وكيف يتقبلونه ؟

كل شىء هناك يقوم على أساس الدين : الهجرة من بلاد الرفاهية الى الشظف فى اسرائيل باسم الدين ، والعمل باسم الدين . والعطلة باسم الدين ، والحرب باسم الدين ، حتى الاعتداء الوحشى يرتكبونه باسم الدين !!

ومع ذلك لم يتهيبوا أن يعلنوا ولاءهم لدينهم ، ولم يدمغهم أحد بتاخر ، ولم يخاصمهم لأنهم يعملون بدينهم ...!!

ونحن نتهيب ، أو نتهرب ، أو نتنكر ، أو نتهجم ، وننتظر مع ذلك النصر من الله ..

ونسينا الوعد الصادق ، والقول الحاسم : ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) . والله لا يخلف الميعاد .

ترى : الى أين نسير ؟

ربى . ان الهدى هداك ..

للشيخ : عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد

مدى الآيات المحكمات والآيات المتشابهات

في القرآن

للأستاذ: محمد عزة دروزه

قال الله تعالى : (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) . آل عمران ٥ و ٦

١ ــ سبب نزول الآيات

اوجه الروايات انها نزلت فى مناسبة وفد نصارى نجران اليمن الذى قدم الى المدينة . فقد تناظر هذا الوفد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى عليه السلام فلما أفحمهم قالوا له : ألست تقول انه من روح الله وكلمته . قال : بلى . فقالوا : هذا حسبنا ، فنزلت لتندد بهم لاحتجاجهم بالآيات المتشابهة وتركهم الآيات المحكمة التى تنزه الله عن الولد وتحكى قول عيسى عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وانه يدعو الناس الى عبادة الله وحده ربه وربهم ، وتقرر أن مثله « كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . والرواة متفقون على أن صدر سورة آل عمران نزل فى مناسبة قدوم هذا الوفد ومناظرته مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا يقوى وجاهة الرواية .

٢ ــ معنى كلمتى المحكمات والمتشابهات

والتأويلات التى يرويها المفسرون عن المؤولين من اصحاب رسول الله وتابعيهم لمعنى الكلمتين عديدة .

فمما اولت به (المحكمات) انها كل ما يعول عليه فى القرآن من احكام وما يعمل به من حلال وحرام . او انها الآيات الواضحة التى لا تحتمل تأويلات عديدة . أو انها الحقائق التى لا تتحمل مراء ولا جدلا . او انها اركان الاسلام . أو أنها عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما كلفوا به لعاجلهم وآجلهم . ولم نطلع فى هذا على حديث نبوى او قول صحابى وثيق . وعلى كل حال يمكن أن يقال استلهاما من روح الآية ومن جملة (هن أم الكتاب) انها تعنى الآيات التى لا تتحمل تأويلات عديدة ولا مراء ولا اشتباها والتى فيها الى ذلك عقائد وتقريرات ومبادىء وأحكام ووصايا واضحة غير منسوخة فى الشؤون الدينية والدنيوية .

أما كلمة المتشابهات فقد قيل انها ما سوى الأحكام والحلال والحرام او انها ما استأثر الله تعالى بعلم حقيقته . او انها المجازات والتشبيهات ، او انها ما تتحمل تأويلات عديدة أو انها المتشابهة فى الصفة المختلفة فى النوع . ولم نطلع كذلك على اثر نبوى او صحابى وثيق . والذى نستلهم من روح الآية انها الآيات التى تتحمل وجوها عديدة من التأويل بسبب سبكها أو الفاظها أو مقامها والله تعالى أعلم .

٣ ــ آيات القرآن نوعان :

والآية الأولى تقرر بصراحة كما هو ظاهر ان القرآن يحتوى نوعين من الآيات . واحدا محكما وهو على ما يتبادر المبادىء والأسس والأحكام التى لا تتحمل تأويلات عديدة وتكون المرجع للنوع الثانى ، وآخر متشابها وهو ما عدا ذلك من الآيات التى قد تختلف أساليبها والفاظها والتى أريد بها على ما يتبادر التشبيه والتمثيل والتقريب والترغيب والترهيب والوعظ والتذكير والتنبيه والتنويه والتنديد والتبشير والانذار بقصد تدعيم النوع الأول . وقد يدخل فى عداد ذلك الآيات التى فيها صفات الله عز وجل وروحه وأعضاؤه وحركاته وكلامه . والملائكة والجن وابليس والشياطين والمعجزات . وخلق الأكوان ومشاهدها ونواميسها . ومشاهد الحياة الأخروية . وكل هذا يمكن أن يتشابه فهمه على الأذهان أو تتعدد وجوه تأويله . أو يعجز العقل البشرى بعامة أو عقول بعض الناس عن ادراك حكمته ومداه . أو يبدو للمشرع وغير المتمعن وغير الراسخ فى العلم أن فيه تغايرا أو تباينا او تناقضا .

والمتمعن فى آيات وفصول النوع الثانى هذا يلمح فيه بكل قوة هدف تدعيم المبادىء والأسس والعقائد والتقريرات والأحكام والتلقينات التى احتوتها آيات وفصول النوع الأول . من وحدانية الله المطلقة وربوبيته الشاملة واستحقاقه وحده للعبادة والاتجاه اليه والاعتماد عليه ونبذ كل ما سواه ومن صدق الرسالة النبوية وشمولها واستمرارها ومن حقيقة الحياة الأخروية وحكمتها . ومن كل ما فيه الحق والعدل والخير والسعادة والنجاة للانسان والانسانية فى الدنيا والآخرة .

٤ ـ احاديث نبوية حول الآية

ولقد اثرت فى ذلك أحاديث عديدة . من ذلك حديث رواه الشيخان عن عائشة قالت (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال : فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) . وحديث رواه مسلم جاء فيه (سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين اختلفا فى آية فعرف فى وجهه الغضب وقال : انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب) وحديث اخرجه ابن مردويه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به) وحديث أخرجه الحافظ أبو يعلى عن حذيفة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ان فى أمتى قوما يقرأون القرآن . ينثرونه نثر الدقل . ويتأولونه على غير تأويله) وحديث اخرجه الامام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا . ضربوا كتاب الله بعضه ببعض . وانما انزل الله كتابه ليصدق بعضه بعضا . فلا تكذبوا بعضه ببعض . فما علمتم به فقولوا به وما جهلتم فكلوه الى عالمه) وروى أبو داود حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه (المراء فى القرآن كفر) . وفى هذه الأحاديث تدعيم لما فى الآية من اطلاق عام يشمل كل موقف مماثل للموقف الذى رجحنا أنها نزلت فى مناسبته . وتلقين بما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين المخلصين من الآيات المتشابهة . وتحذير من ابتغاء الفتنة والشبهات والجدل فيها . وكل هذا متساوق مع ما فى الآيتين .

٥ ـ روايات عمن يدخل فى نطاق التنديد فى الآية والاحاديث .

ولقد روى المفسرون عن علماء التابعين أن الآية والأحاديث فى حق الحرورية والخوارج والسبئية والقدرية . والأولون هم أول فئات الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه لأول مرة . والخوارج هم الذين استمروا فى الخروج على الأمويين والعباسيين ، والسبئية هم الذين ينسبون الى مذهب عبد الله بن سبأ اليهودى الذى تنسب اليه بدعة القول بوصاية على رضى الله عنه عن النبى بعده ثم برجعته ثم بألوهيته . والقدرية هم فرقة لم تؤمن بالقدر وكانت تقول أن الانسان خالق أفعال نفسه أو الفرقة التى كانت تقول ان الانسان لا تأثير له فى عمله وأنه مجبر عليه . والمتبادر أن هذه الأقوال من وحى الوقائع التى وقعت فى صدر الاسلام . ولقد قال الطبرى بعد أن أوردها ان المعنى بها كل مبتدع بدعة فى دين الله فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشابه آى القرآن ثم حاج به وجادل أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة الآيات المحكمة ارادة منه بذلك اللبس على أهل الحق المؤمنين . وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان وأى أصناف البدعة كان وفى هذا السداد والصواب والتساوق مع اطلاق العبارة القرآنية .

٦ ـ الشذوذ عن توجيه الآية والأحاديث

ومن المؤسف أن كثيرا من المسلمين لم يتقيدوا بالتوجيه الجليل الذى احتوته الآية والأحاديث . وانصرف همهم الأكبر الى الانشغال والجدل فيما يدخل فى نطاق المتشابهات التى عددناها أكثر بكثير مما انصرف الى النوع الأول الذى هو الجوهرى المحكم من كتاب الله ورسالة رسوله . ولقد اداهم ذلك الى الاغراب والتورط فى التخمين والتخيل والتزايد . والناظر فى كتب التفسير المطولة يجد الشىء الكثير الذى يعكس ذلك الاهتمام ، ويجد الأقوال والروايات المعزوة الى مسلمة اليهود وغيرهم والتى فيها الكثير من الخيال والمبالغة والتناقض والكذب والاغراب حول المتشابهات المذكورة هى التى تشغل الحيز الأوسع من هذه الكتب رغم ما فيها وما تؤدى اليه من تشويش وتغطية على النوع الأول . ورغم ما فيها من أشغال ذهن واستنفاد جهد على غير طائل . ورغم تحذير كتاب الله ورسوله . وقد أدى ذلك الى استمرار ذلك الانصراف والانشغال الى اليوم حتى لا يكاد السائلون عما فى القرآن يسألون عن غيرها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد . فهناك من أول آيات المشاهد الكونية تأويلا فيه كثير من التمحل والتجوز بسبيل استخراج نظريات فنية وكونية . أو اثبات كون القرآن احتوى حقائق علمية وفنية لم يكن يعلمها الناس سابقا وثبتت مع تقدم العقل البشرى والعلوم مهما كا نفى ذلك من تجوز وتمحل ثم من تعريض لكتاب الله للجدل والتنقض عند اختلاف النظريات وتباينها واخراجه من نطاق قدسيته وهدفه الذى هو هداية البشر وصلاحهم وسعادتهم ونجاتهم فى الدنيا والآخرة ، وعلى غير طائل ولا ضرورة ، لأن القرآن ليس فى حاجة الى ذلك لاثبات كونه وحيا من الله تعالى . ودلائل ذلك ومظاهره ساطعة فى كل فصل من فصوله ، وليس القرآن يعد كتاب فن وطبيعة وفلك .

وكثيرا ما يكتبون مثل هذه الفصل تحت عنوان آية سورة فصلت (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...) والآية فى صدد الحجاج مع المشركين فى زمن النبى والتنديد بهم فلا محل لأخذها وحدها والاتكاء عليها . وما بعد هذه الجملة ثم الآية التالية دليل حاسم على ذلك .

وهناك من فعل ولا يزال يفعل ذلك فيما ورد فى القرآن من قصص دون أن ينتبه الى أن القرآن ليس كتاب تاريخ ولم يقصد بما ورد فيه السرد القصصى وتقرير الأحداث لذاتها وانما قصد التذكير والموعظة والعبرة بقصص يعرفها السامعون جزئيا أو كليا ، وفى كل مقام من مقامات القصص يظهر هذا القصد واضحا ، كما أنه واضح فى تكرارها مرارا .

ومن الواجب أن يوقف عندما اقتضته حكمة التنزيل منها وبالأسلوب الذى جاءت عليه والذى يتحقق به الهدف القرآنى من القصة بدون تورط فى التخمين والتزيد والنقاش .

وهناك من حاول استخراج الغيب والأسرار من بعض الآيات والحروف . هناك من زعم أن القرآن ظاهرا وباطنا . وجرى فى متاهات وتخيلات عجيبة من المعانى والاستنباطات واللعب بالألفاظ . وشطح الى ما يكاد يكون هذيانا بسبيل اظهار هذا الباطن . منهم من فعل ذلك بتأثير النزعة الصوفية وتورط فى متناقضات واستنباطات عجيبة فى صدد صفات الله وأنبيائه وملائكته وخلقه . وصرف آيات القرآن المحكمة منها والمتشابهة عن مداها الواضح وهدفها الملموح بقوة الى ما يشبه المعميات . وما قد يؤدى الى الكفر البواح . ومنهم من فعل ذلك بسبيل تأييد الهوى المذهبى والبدع المتنوعة . وهناك من كذب على الله ورسوله وأصحابه مما نفضل عدم التبسط فيه .

٧ ـ تاويلات واجتهادات فى صدد (وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

وهناك من زعم أن للقرآن ظاهرا وباطنا . وجرى فى متاهات وتخيلات عجيبة

فهناك من قال ان (الواو) السابقة لكلمة (الراسخون) واو عطف ، وان العبارة تفيد ان الراسخين فى العلم يعلمون تأويله أيضا . وهناك من قال : انها استئنافية وان الجملة التى بعدها مستقلة عما قبلها وان العبارة تفيد ان الراسخين فى العلم لا يتمحلون فى التأويل ويكتفون بايكال ما اشتبه عليهم فهمه وتأويله الى الله ويقولون آمنا به كل من عند ربنا . ويدعون الله أن لا يزيغ قلوبهم بعد اذ هداهم .

ومما دلل عليه القائلون بالقول الأول والآخذون به انه لا يصح أن يكون فى كتاب الله ما لا يعرف تأويله وما لا يفهمه أحد ما .وللامام ابن تيمية كلام طويل فى صدد البرهنة على وجاهة هذا القول أورد فيه حججا عقلية ونقلية قوية . وقد يكون هذا القول متسقا مع تلقينات القرآن الكثيرة المنطوية فى آيات كثيرة والتى تقرر أن الله انزل كتابه ليتدبر الناس آياته وأنه أحكم أياته وفصلها لقوم يعقلون وأنه أنزله لتبيينه للناس وليتفكروا فيه وتبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وليبين للناس ما يختلفون فيه الخ .

ومع ذلك فانه يتبادر لنا أن كلا القولين وجيه ووارد فى وقت واحد ، فان كلمة (تأويله) يصح أن تكون بمعنى (حكمته والمقصود منه) ويصح أن يقال حينئذ أنه ليس فى متشابهات القرآن التى عددناها ما يمكن ان يعجز الراسخون فى العلم عن لمح حكمته والمقصود منه فضلا عن محكماته . وان الآيات التى أشرنا اليها آنفا هى فى هذا المدى .

ويصح أن تكون هذه الكلمة بمعنى (السر والكنه والماهية) ويصح حينئذ أن يقال ان فى المتشابهات ما لا يمكن أن يعرف سره وماهيته أحد من البشر . فالقرآن مثلا يقرر أن عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه . وأن الله نفخ فى أمه وفى فرجها من روحه . فان الأفهام البشرية فى اعتقادنا بما فيها أفهام الراسخين فى العلم تظل قاصرة عن ادراك ذلك وماهيته . ولا يحل المسألة أن يقال ان ذلك يشير فى جملته الى مافى خلق عيسى عليه السلام من اعجاز ربانى اذا أريد من كلمة (تأويله) السر والماهية ، لأن سر هذا الاعجاز وماهيته

يظـــــلان على كل حال غير ممكنى الادراك والفهم بالنســــبة للعقل البشرى ومثل هـــذا يقال فيما ورد فى القـــرآن من صــفات الله تعـــالى الذاتيـــة والفعلية واعضائه وحركاته . والوحي والنبوة والملائكة والجن وابليس . وخلق آدم من تراب ونفخ روح الله فيه . وخلق الكون . والحياة الأخروية ومشاهدها . مما يجب الايمان به لأن القرآن اخبر به . فان العقول البشرية لا تدرك سرهـــا ادراكا تاما .

ولا يكفى فى ذلك أن يقال انها سر الله وحكمته وانها فى نطاق قدرته . لأن هذا القول لا يمكن أن يوصف بأنه علم تأويلها اذا أريد بالكلمة السر والماهية . وان كان يمكن أن يقال ان العقول البشرية والراسخين فى العلم يستطيعون أن يلمحوا حكمة الله ومدى هدفه فيها .

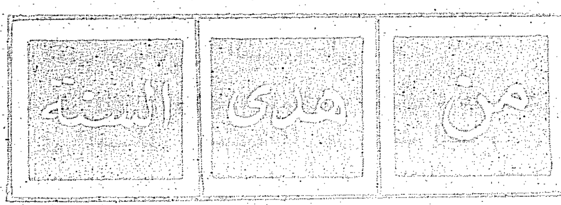
٨ ــ هل كان الرسول يعلمها ؟

وقد يســــأل ســـــائل عمـــا اذا كان النبى صـــلى الله عليــــه وســــلم أيضـــا لا يعـــلم تأويله اذا أريد بالتـــأويل السر والمـــاهية ؟ ونحن لا نرى من غير الجـــائز وبســــبب الطبيعة البشرية التى يشترك فيها النبى صلى الله عليه وسلم مع سائر البشر أن لا يعلم سر واجب الوجود وسر الحيـــــاة والكون والمغيبات وسر الملائكة والجن وابليس وماهية نفخ الله من روحه فى آدم وفى مريم وعبارة (كلمته وروحه) بالنسبة لعيسى عليه السلام . ولقد أمره الله بأن يقرر أكثر من مرة أنه بشر . وانه لا يعلم الغيب . وهناك أحاديث نبوية كثيرة يكل فيها العلم والسر لله تعالى فى بعض الأمور المذكورة مما يفيد أنه لا يعلمها . وهنــــاك آيات كثيرة مما يدخل فى نطـــــاق المتشــــــابهات والأسرار المذكورة لم يؤثر عن النبى صــــلى الله عليه وســــلم حديث صــــحيح فى تأويلها . وقد كان يأمر أصحابه بأن يكلوا ما لا يعلمونه أو ما لا يستطيعون فهمه من متشابهات القرآن الى الله ولا يتجادلوا فيها ولا يضربوا بعض القرآن ببعض . ولهذا مغزى كبير فيما نحن فى صدده . ومعلوم أن السلف الاسلامى الأول درج كما هـــو المأثور المتواتر على عدم الخوض فى كيفيات وماهيات ما ورد فى القرآن من صفات الله وحركاته ومشاهد كونه وسائر تلك الأسرار والمغيبـــات والمتشابهات والاكتفاء بالقول : (آمنا به كل من عند ربنا) . والمتبادر أن ذلك هو نتيجة لتلقين النبى صلى الله عليه وسلم وتنبيهه وتحذيره . والمتبادر كذلك أن هـــذا الموقف الذى يراه كثير من الأئمة فى مختلف العصور أنه الأولى والاسلم هو نتيجة لذلك .

ونعتقد أن هذا لا يتناقض مع ما أوجبه الله على رسوله من تبيين ما انزله عليه . فهو مكلف ببيان الأحكام والمحكم وما علمه اياه من تأويل المتشابهـــات وأطلعه عليه من الأسرار . وقد قام بما هو مكلف به من دون ريب . ولو كانت تلك الأسرار مما كان يعلمه أو مما علمه الله اياه لكان حتما علمها للناس تنفيذا لأمر الله وقياما بمهمته .

ولقد روى عن أبى عباس قوله ان التفسير على أربعة أنحاء . تفسير لا يعذر أحد فى علمه . وتفسير يعرفه العرب من لغاته . وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم . وتفسير لا يعلمه الا الله . وهذا القول يروى عن عائشـــة وعروة وغيرهما من أصحاب رسول الله وتابعيهم .

والمتبادر أن فى هذا القول توفيقا سديدا بين القولين . والله تعالى أعلم .



سؤال وجواب

عن عائشة رضى الله عنها ، أن امرأة من الانصار (١) قالت للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : كيف أغتسل من الحيض ؟ ، قال : خذى فرصة (٢) ممسكة (٣) فتوضئى (٤) بها ثلاثا ، ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم استحيا فاعرض بوجهه ، أو قال: توضئى بها فاخذتها فجذبتها فاخبرتها بما يريد النبى صلى الله عليه وسلم » .

رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

للشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ قلت لصاحبى مالى أراك تبدو شارد الفكر ، مبلبل الخاطر ، مضطرب النفس ، لا تشعر بما يدور حولك ولا تلقى بالا للعابرين أمامك ، ماذا دهاك ، وأى خطب اعتراك ؟ هل هناك نازلة لم تسبق بمثيل ، أم أن بعد الوطن قد أضناك ، أم أن التى جئت تخطب ودها فى بلاد الفرنجة قد أشاحت وماطلت ؟! ، لا تدعنى ألقى اسئلة ولا اتلقى جوابا ! فما هذا عهدى بك ، ولا هو من شنشنتك ، فكل صنو هنا أو هناك يخبر صراحتك ، وتدفق حديثك كالسيل انحدر من عل ، فقال : على رسلك ، لا تسترسل هكذا فى أسئلتك ، فما المصاب واحد ولكنه عديد ، ولا النازلة فريدة وانما هى خطوب وأحداث ، وما يجرى على أرضنا إن هو الا حصاد زرع سابق ، وثمرة ما رويناه بجهلنا ، وعدم حيطتنا ، واشتغالنا بتوافه الأمور وسفسافها عن النظر والتأمل فى المستقبل الذى أصبح واقعنا الآن ، حاضر يزعج الأصدقاء ، ويهلك الواقعين فيه ، وهكذا تغرق السفينة لأن الربان وأصحابه لم يأخذوا على يد مأفونهم الذى رام الراحة من عناء السقيا

---

(١) هى اسماء بنت يزيد بن السكن (بالسين المهملة المفتوحة ، والكاف المفتوحة ايضا ، وكانت تسمى خطيبة النساء أى واعظتهن .

(٢) فرصة : بكسر الفاء وبالصاد المهملة ــ فى مختار الصحاح : الفرصة : قطعة قطن أو خرقة تمسح بها المرأة الحيض ، فى المصباح المنير : الفرصة على وزن سدرة : قطعة قطن أو خرقة تستعملها المرأة فى مسح دم الحيض ، ولا بن سيده : تثليث الفاء .

(٣) ممسكة بضم الميم الاولى وفتح الميم الثانية : ثم سين مهملة مشددة مفتوحة ، اى مطلية بالمسك وهو الطيب المعروف

(٤) فتوضئى : المراد بالوضوء هنا معناه اللغوى ، اى تنظفى من الوضاءة وهى الحسن (بضم الحاء وسكون السين المهملتين) .

من اعلاها فخرقها ليندفع الماء من اسفلها ، فاستراح لحظة خاطفة[1] فهلك الى الأبد ، وهلك معه مرافقوه العقلاء لأنهم لم يحاولوا الضرب على يده .

هل سمعت أحداث المشرق ، مشرقك ، وطنك ، أخوتك ، قومك ، هنـــاك يستأسد الجبان الرعديد ، ويتهاوى المقـــاتل الصنديد[2] فهل خلت البقاع من آهليها ، أم أن ام دفر لها ثأر قديم عندنا تجتره الآن ، أم مـــاذا ؟ لا ادرى كيف ادير القول ؟! ثم تأمل ، انظر ، ماذا يفعل الأعداء وماذا يكتب موجهو العصر من ابنائنا ورصفائنا ، وناولنى صحيفة عربية ، وأشار الى عنوان وكاتب ومقـــال طويل وبحث مستفيض ، ظننته لأول وهلة وقبل التأمل ، مقالا فى فنون القتال ، وتكوين الرجال ، وضم الصفوف ، ودراسة الواقع المحزن ، ووصف علاج ، ودلالة على دواء ، واقالة عثرات الى ميدان الجهاد ، فى هذا الظرف العصيب الذى لا يدرى أحد فيه أيصبح بين أهل وولد ، أم تطلع عليه شمس الغد ، وهو فى العراء منبوذ ، أو فى جوف الأرض مدفون ، أو تخطفه الطير أشـــــلاء ، لا يدرى ، نعم لا يدرى ! . واذا المقال المـــدبج المنمق عن الجنس وما أدراك ما الجنس ، وأنا لا أفهم — وان كنت فاهما — معنى الجنس[3] بهذا المعنى ، فرجعت الى لغتى الفصحى اسائلها ، ولغة أخرى قد تكون هى مصـــــدر تلك المفاهيم ، فقال صاحبى : لا عليك من التحكك بالألفاظ ، وانما اقرأ وأسمع (بفتح الهمزة وكسر المميم) ، وقرأت ولم أسمع (بضم الهمزة وكسر الميم ايضا) لأن المجلس عام ونحن نقتعد ركنا قصيا نتعاور القول ، قرأت كلاما يريد كاتبه أن يدرس الجنس فى مدارس الشرق ، وأن يعلم فى البيوت ، وأن يعـــــرف فى النوادى ، وأن يلم به الناشئة ، لأنه شىء يغير مجرى حياتهم ، ويؤثر فى مستقبل امرهم ، وان لم تتدارك حكومات الشرق هذا الأمر الخطير ، وتجلس (بضم التاء المثناة من فوق) الولد الى جانب البنت فى كل المراحل الدراسية ، وتدعهمـــا يتلاقيان على البلاجات وفى الشوارع والمقاهى والحافلات التى تجوب البلاد — ان لم تفعل حكومات الشرق هذا ، فقد ادلهم الخطب وزاد فداحة ، واستشرى الشر ولا يمكن تداركه ، ولا نستطيع أن ننازل الأعداء ، ولا نتمكن من صدهم عن أرضنا ، أرض الآباء والأجداد ، ومسرح حياتنا ، ومرابع أولادنا ، ومنبت قوتنا ، وضرب صاحبى كفا بكف فى ألم مرير ، وتقلص وجهه وتشنجت عضلاته حتى خشيت عليه أن يهلك غما ، ويتلاشى أسفا على ما يتجه اليه الموجهون ، وما يضيع فيه وقتهم . ثم اتجه الى بكليته ليقول : تأمل الاسلام ورسول الاسلام ، وقواعد الاسلام ، وتوجيهات الاسلام ، تر أدبا وعفة ، وتدرك حســـن التأنى للافهام والتفهيم ، ثم دعنى افصح لك عما أريد من واقع الحياة ، ولنختر بيئة من البيئات التى ينعتونها متزمتة !! ولنسائلها . هل يجهل ناشئتها علاقة الرجـــل والمراة جهلا مطبقا ، هل لا يدرون وظيفة كل عضو فى الهيكل الذى يحملهم أو يحملونه !.

---

(١) الفاء للترتيب والتعقيب لان الفرق يعقب الخرق دون ابطاء .

(٢) يشير الى أحداث الاردن الاخيرة مع اسرائيل .

(٣) الجنس المنطقى — هو الكلى المقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة فى جواب ما هو !

والجواب : أن هذه أمور معروفة مدروسة تجرى مع الدم منذ جـرى ، وتلاحق النفس على أول نفس للمرء فى الحياة ، فالأم — دائما — تعلم بنتها كيف تتطهر من الدم اذا ادركها البلوغ ، والاسلام يوضح فى دروسه الجبرية المفروض تعلمها على كل فتى وفتاة ابان السابعة من العمر ، أى والعود غض رطيب ، ودليل ذلك قول الرسول الكريم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) . ومعلوم بداهة من الشريعة أن الصلاة لا تصح بدون وضوء شرعى ، والوضوء يستلزم غسـل أعضـاء وازالة الأدران عن أعضاء ، وتلك الأعضاء يذكرها فقه الاسلام بأسمائها ولا يكنيها ، ويعلم الناشىء الصغير وأخته ما هو القبل وما هو الدبر !! وفى حديث الباب سؤال امـرأة وجواب رسول ، وتوضيح أم المؤمنين ، فواعظة النساء على عهد رسول اللـه تستفسر منه عليه الصلاة والسلام ، عن الطهارة من الحيض ، وكيف يغتسـل منه ، وهو عليه الصلاة والسلام يجيبها فى أدب نبوى كريم ، وما استحياؤه صلى الله عليه وسلم الا ليوجه نساء المسلمين أن يتعلمن ليعلمن ، وأم المؤمنين عائشة تعرف الأحكام بدقة وهى كمعلمة توضح أدق توضيـح ولا تستحى من الحديث عن أعضاء خاصة مع نساء المؤمنين وهن يعلمن بناتهن ، وهكذا تمضى السلسلة الكريمة المتواصلة ، ومن له بنات يعلم تمـام العلم كيف يصلن الى الطهارة من النجاسات الناجمة عن الحيض والنفاس وغيرهمـا ، يصلن الى المعرفة عن طريق أمهاتهن ، وهى طريق أكثر سلامة ووضوحا وأقل عثرات ، وكذلك الولد واجب عليه شرعا أن يعرف أحكام الغسل ومن قبلها أحـكام الوضوء ، ويجر ذلك الى الكلام الصريح الواضح عن الأعضـاء التى يهمه أن يعرف عنها ما يريد ، وبهذا لا نحتاج الى دراسة أكثر من دراسة الفقه الاسلامى فى هذا الموضوع ، فلا يمكن للمعلم الواعى الفاقة الملم بحكمة التشريعـات الاسلامية أن يصد الطالب عن سؤال أو يمتنع عن اجابة ، وقد زاولت التعليم فى مختلف مراحله وصنوفه سنين وسنين ، وما صددت طالبا عن سؤال أبدا ، وما تركت مسألة دون توضيح كامل شامل ، وخبرت الشباب خبرة طويلة ، فى مختلف الأسنان والأعمار وأفضوا الى بما يريدون وما تنطوى عليه نفوسهم فى صراحة ووضوح ، وكانت الشريعة دائما هى مصدر الجواب المقنع الشـافى الواقى .

٢ — الحق — أن الاسـلام دين ونظام لأمة تعمر الكون ، وتعمره بـكل ما تحمله الكلمة من معان كريمة ، ولكن — واأسفاه — جهل المسلمين باسلامهم جعله بعيدا عن مجرى حياتهم ، والاسلام يعنى بالناشئة من كل نواحيها يعلـم ويوجه ، ويعطى الدروس فى أسلوب عف مفهم فاحص لا التواء فيه ، ولـكنه ينأى عن مهاوى الردى ، ويباعد بين الوليد — ذكر أو انثى — وبين مسـاقط

الزلل الأخلاقى ، وقد قال شراح الحديث من العلماء السابقين رحمهم اللـــه : يستفاد من هذا الهدى النبوى الكريم أن العالم يجب أن يكتفى بالجواب عن الأمور المستورة ، وأن المراة تسأل عن أمور دينها ، وتكرير الجواب لافهام السائل .

واقول : ان دراسة الفقه الاسلامى فى عباداته وغير العبادات ، فرض على كل مسلم ومسلمة اذ بدونها لا يدرى شىء عن طرائق العبادات ولا الدخول فيها ، ولا ينفع التقليد فى العبادة ولا المحاكاة ، وتعلم العبادات يصل بالناشئة المسلمة الى معرفة كل ما تهم مَعرفته فى هذه الحياة خاصها وعامها جنسيـــة وغير جنسية وتدقيق النظر فى حديث الرسول وحوار السيدة السائلة وجوابه لها ثم شرح أم المؤمنين يوضح تماما انه لا بد وأن تعرف المرأة كـــل شىء عن اخص ما يخصها تقول عائشة : ان امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسلها من الحيض فأمرها كيف تغتسل قال: خذى فرصة من مسك فتطهرى بها ، قالت كيف اتطهر بها ؟ قال : سبحان الله تطهرى بها ! قالت عائشة فجذبتها فقلت لها : تتبعى بها أثر الدم » .. وما بعد توجيه الرسول من توجيه .. وقد تحدث الفقهاء عن أشياء قد يظنها من لا اطلاع له على الفقه الاسلامى أن البحث فيها وليد العصر الحاضر ، ولا يعلم أنها قد قتلت بحثا فى عصور سلفت ، وما ذاك الا لأن الانسان هو الانسان فى رغباته وميوله وشهواته فى كلياتها لم يتغير منه شىء منذ أن دب أبواه على وجه البسيطة .

٣ ــ وعودا الى التعقل والبحث والاستقصاء ، ودراسة ما معنا ، وما بين أيدينا من الاستنارة بآراء الغير فى بعض المشكلات التى لم تطــرق وما أقلها . والواقع اننا فى حاجة الى وعى نابع من مقدساتنا من أخلاقنا من عقـــائدنا من ارضنا من محيطنا ، وكثير من النبات المزهر الجيد الثمر ، العبق الأرج ، يذبل ويذوى اذا غرس فى منبت لا يناسبه . وجو لا يليق به ، والفضائل الانسانيـــة معروفة ومدروسة والطريق اليها واضحة ، وحاجتنا فى هذه الأيام الى استعمال الحكمة والتوافق والبعد عن تمييع الأخلاق حاجة ملحة ولا شك ، ويعجبنى كاتب معاصر ، يسطر مقالاته فى احدى الصحف المستنيرة تماما ويغـــذيها بخبرته الطويلة فى حقول ثقافية مختلفة ، وقد طرق فى الشهر الماضى موضوع الواقع المرير الذى يعيشه الشرق العربى الآن ، وعالجه علاجا حكيما محكما ، فلمثله يهدى القول وفى مطالعة كتاباته لا يضيع الزمن (١) ، والله الموفق المستعان .

---

(١) ساعود لهذا الموضوع موضوع الحديث مرة اخرى بعون الله تعالى .

البوذية وتعاليمها

للأستاذ: أحمد حسين

فى المقال الماضى المنشور بالعدد ٣٦ تحدث الأستاذ احمد حسين عن الهندوكية باعتبارها الأرض التى نبتت فيها بذرة البوذية وتفرعت وامتدت فى الهند وفى خارجها ، واليوم يحدثنا عن بوذا وتعاليمه ، وعن البوذية باعتبارها احدى الديانات التى يدين بها مئات الملايين فى جنوب وشرق آسيا .

شخصية جوتاما بوذا :

ان ما يفرض البوذية فرضا على كل باحث فى الأديان ، هو شخصية معلمها جوتاما بوذا (١) والتى تمثلت فيها الفضائل كلها وأصبحت علما على المثالية الأخلاقية ، وما ظنك بانسان يعتزل الجاه والغنى والثروة والسلطان ، ليحيا حياة الحرمان والتجوال بحثا خلف الحقيقة ، حتى اذا استضاء بنورها ، كرس بعد ذلك حياته الطويلة من أجل نشرها بين الناس ، لاحلال السكينة فى قلوب الأفراد ، والسلام والحب بين الجماعات ، ولما كانت هذه صفات الرسل وأخلاقهم ، وتلك هى أهدافهم فهى جديرة بالدراسة والتأمل ، ولنعرض عليك الآن سيرة بوذا بشىء من التفصيل الموجز .

حياة بوذا :

ولد الامير سدهاراتا (سدهاتا) جوتاما على أرجح الآراء فى القرن السادس قبل الميلاد فى الناحية الشرقية من الهند ، فى المنطقة التى تقع بين مدينة بنارس (٢) وجبال الهملايا حيث كانت تقيم قبيلة ساكيا ، وكان والدا سدهاتا من أمراء هذه القبيلة ، وأصحاب السيادة عليها .

---

(١) اسمه الأصلى جوتاما Gautama أو سدهارتا Siddhartna أما كلمة بوذا او بدها Boddha فلقب معناه العظيم . « الوعى »

(٢) أتيح للكاتب أن يزور مدينة بنارس وأن يشهد الآثار البوذية المقدسة بها ، (اقرا له أمة تبعث) .

وعاش سدهاتا منذ ميلاده ، كما يعيش امثالـه من ابناء ذوى الجـاه والسلطان مدللا منعما ، لا هم له الا اللهو واللعب والاستمتاع بالحياة ، والعب من ملذاتها ، حتى اذا بلغ التاسعة عشرة من عمره ، واصبح فى زهرة الشباب زوجه ابوه من ابنة عمه الجميلة الفاتنة « باسودهرا » ، والتى لم تلبـث ان انجبت له غلاما جميلا اسموه راهولا ، وهكذا تحققت له كل أسباب السعادة المادية ، ولكن القدر كان يعد لسدهاتا مصيرا مختلفا كل الاختلاف عما كان يتوقع لمثله من حياة .

الشيخوخـة :

وتختلف القصص التى تروى عن سدهاتا ، والمشاهـدات التى غيـرت مجرى حياته ، ولكن الجوهر فى هذه القصص واحد ، فقد خرج الامير سدهاتا ذات يوم من قصره للتنزه ، وامتطى احدى المركبات التي كان يقودها تابع له ، وبينما الأمير فى اوج نشوته ، اذ وقعت عيناه لأول مرة على شيخ كئيب أثقلت السنون كاهله ، فأصبح يدب على الأرض دبيبا ، متكئا على عصاه ، وقد تقوس ظهره فاهتزت مشاعر سدهاتا لهذا المنظر الكئيب ، وساءل تابعه ما شأن هذا الرجل ، فقال له تابعه هذه سنة الحياة ، وقدر كل انسان اذا امتد به العمر ، انها الشيخوخة يا مولاى .
فأحس سدهاتا بالاكتئاب ، وعزفت نفسه عن النزهة ، فعاد ادراجه الى القصر .

المرض :

ومضت فترة نسى فيها سدهاتا ما أحزنه من فكرة الشيخوخة ، وعـاد للتنزه مرة أخرى ، وتعمد ان يسير فى طريق غير الذى سلكه اول مرة ، فاذا به يصادف هذه المرة مشهدا هز نفسه بأعنف مما هزها المنظر السـابق ، اذ وقعت عيناه على انسان شوهه البرص ، وهده المرض ، فراح الناس يتحامونه ويتحاشون الاقتراب منه ، وسأل سدهاتا تابعه : وما هذا ؟
ــ انه المرض يا مولاى احد سنن الحياة الانسانية .
واغتم سدهاتا مرة اخرى ، وزهد فى نزهته وعاد ادراجه الى القصر .

المـوت :

وخرج سدهاتا مرة ثالثة من طريق ثالث ، فوقعت عيناه على جثة ميت سقط فى الطريق وقد تعفنت جثته واصبح منظرها بشعا .
ولم يحتج سدهاتا هذه المرة لسؤال تابعه ، فقد كان هذا الاخير يهمس فى اذنه قائلا : وهذا يا مولاى نهاية الحياة .
وكان هذا المنظر الأخير كفيلا ، بأن يفسد شهية سدهاتا ، لا عن النزهة هذه المرة فحسب ، بل وعن مسرات الدنيا ومباهجها ، وشغل بمشكلة الحياة التى صدعته مظاهرها من مرض وشيخوخة وموت فى خاتمة المطاف ، وراح يسائل نفسه ، اى شىء هذه الحياة التى يغشاها الالم من جوانبها ؟ ما هى حقيقتها ، ما سرها ؟ أمن المستطاع التغلب على آلامها ؟
وقرر الأمير الشاب ان ليس هناك فى الدنيـا ما يعلو على كشـف هذه الحقيقة ، وقرر ان يكرس حياته للبحث عنها .

حيـــاة النسك والتشـــرد :

وفي ليلة جميلة مقمرة والقصر يغص بكل اسباب المسرات دخل سدهاتا الى حجرة نوم زوجته وكانت نائمة فقبلها قبلة الوداع ، وكذلـــك قبل طفلـــه المولود ، وانسل فى هداة الليل خارجا من القصر ، واسرع يغذ السير مبتعدا عن النعيم الذى كان يغيش فيه ، وعندما قابل فى طريقه اول متسول فقيـــر . عرض عليه أن يبادله اسماله البالية بملابسه الثمينة ، فرحب المتسول بالصفقة وهو لا يكاد يصدق ، وكان فرح سدهاتا بالاسمال البالية ، يفوق فرح المتسول بملابس الأمير .

ويقال : إن ســــــدهاتا جوتاما (١) . قد التقى بعد ذلك ببعض الرهبان الهندوكيين ليتلقى على ايديهم علم الحياة واسرارها ، فلقنوه التعاليم الهندوكية التي تقوم على أن تعذيب الجسد يؤدى الى سمو الروح وخلاصها ، فراح جوتاما يأخذ نفسه بأنواع من المشقات . وضروب تعذيب الجسد وتجويعه ، الى الحد الذى لفت اليه انظار النساك ، فالتف حوله خمسة منهم وجعلوه زعيما لهم ؛ لأنه كان اكثرهم تعذيبا لجسده ، حيث كان يلقى بنفسه بين الاشواك والحصا ؛ ولا يتبلغ فى اليوم الواحد (على ما تقول القصص) الا بحبة أرز واحدة .

وكان أصحابه الخمسة يبكون من فرط الألم لشدة ما يعانيه جوتاما مـــن المشاق ، وتقول بعض الروايات إن جوتاما قد أمضى فى هذا النوع من الحياة سبع سنوات ، اقتنع فى آخرها بأن تعذيب الجسد لم يزد حياته الا اضطرابا وقلقا وتشويشا ، وأنه أصبح ابعد عن الحقيقة مما كان من قبل ، فقرر فجأة ان يضع حدا لهذه الحياة ، وطلب من أصـــحابه أن يحضروا له الطعـــام ليأكل ، والشراب ليشـــرب ، فان ذلك خير الف مرة من تعذيبه لجســـده بالجـــــوع والحرمان (٢) وفزع النساك الخمسة من هذا التصرف الذى اعتبروه تجديفـــا وكفرا ، فانفضوا عن جوتاما واعتبروه قد سقط وهلكت روحه .

الاشراق والتنوير :

وسار جوتاما قاصدا العودة من جديد الى مسقط رأسه ، وجلس يرتاح فى ظل احدى الأشجار فى غابة أرويلا ، ويتناول طعامه ، فاذا بالمقام يطيب له فى ظل الشجرة ، ويحس الرغبة فى البقاء تحتها بعض الوقت ، وتروى بعض القصص ان جوتاما سمع صوتا داخليا يقول له بكل جلاء ووضوح : نعـــم فى الكون حق أيها الناسك ، هنـــاك حق لا ريب فيه ، جاهد نفســـك اليوم حتى تناله ، وهبطت على جوتاما سكينة عظيمة عمرت قلبه ، وعندما استيقـــظ فى الفجر لم يكن هو جوتاما ، الذى كانه بالأمس ، بل «أى المتنور» ، فقد أشرقت الحقيقة فى نفسه واستضاءت ، فأدرك سر الآلام التى يتكبدها البشر ، وعرف أسبابها وطريق علاجها ، ولم يشأ بوذا أن يحتكر هذه الحقيقة التى اكتشـــفها لنفسه ، بل بدأ ينشرها ويعلمها للناس ، وكان النساك الخمسة الذين تبعـــوه فى فترة نسكه هم أول من استجاب الى تعاليمه الجديدة ، ثم جمع بوذا حولـــه ستين شابا راح يلقنهم مبادئه وتعاليمه ، وطلب منهم أن ينشروها فى الآفاق ، فاستجابوا لدعوته ، وظل بوذا يدعو لتعاليمه خمسا وأربعين سنة بعد أن أصبح يطلق عليها اسم النظام او عجلة الشريعة .

---

(١) يغلب على اسمه ابتداء من هذه المرحلة كلمة « جوتاما »

(٢) انظر كيف اهتدى بوذا الى حكمة الاسلام بالنسبة للطعام حيث يدعو الى الاعتدال فلا افراط ولا تفريط ، ففى ذلك الاعتـــدال مزاج للجســـــد (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المســـرفين) .

روح التعاليم البوذية :

وليس هناك ما يكشف عن السر الذى مكن دعاة البوذية من نشرها فى الآفاق الأسيوية ويكشف فى الوقت ذاته عن جوهر التعاليم البوذية من هذه القصة التى تروى عن حديث دار بين بوذا وأحد تلامذته قبل بعثه الى أحد القبائل للتبشير بينها .

بوذا ـــ ان رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب ، فاذا وجهوا اليك الفاظا بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك ، فماذا أنت فاعل ؟

بورنا ـــ اقول لا شك أن هؤلاء قوم طيبون لينو العريكة ، لأنهم لم يضربونى بأيديهم ويرجمونى بالحجارة .

ـــ فان ضربوك ورجموك بالحجارة ؟.

ـــ أقول انهم طيبون لينون اذ لم يضربونى بالسيوف .

ـــ فان ضربوك بالسيوف ؟

ـــ أقول انهم طيبون لينون اذ لم يحرمونى نعمة الحياة نهائيا .

ـــ فان حرموك الحياة ؟

ـــ أقول انهم طيبون لينون اذ خلصوا روحى من سجن هذا الجسد السيء بلا كبير ألـــم .

قال بوذا ـــ أحسنت يا بورنا انك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات أن تسكن فى بلاد قبيلة سرونا بارنشا ، فاذهب اليهم يا بورنا ، وكما تخلصت فخلصهم ، وكما وصلت الى الساحل فادخلهم معك ، وكما تعزيت فعزهم معك ، وكما وصلت الى مقام النرفانا الكاملة فأوصلهم اليها مثلك .

فذهب بورنا اليهم وكانت النتيجة : أن آمنوا كلهم بالبوذيـــة واتبعـــوا مذهبه . وعاش بوذا ما عاشه من حياته وهو مثل حى لكل الفضائل التى بثها ودعا اليها ، ولم يعهد عليه أنه خانها أو حاد عنها فى يوم من الأيام ومما يتعجب منه فى سيرته أنه لم يصب بمكروه أثناء بثه دعوته على كثرة من كانوا يترصدون لقتلـــــه .

ومات بوذا فى هدوء تحت احدى أشجار الغابة وقد بلغ الثمانين ، وأحرق تلامذته جسده بعد ثمانية أيام على عادة الهنود ، ووزع الرماد المتخلف من الجثة الى ثمانية أجزاء بعث بكل جزء منها الى احدى نواحى الهند وغيرها من الجهات التى رأوها لائقة بـــه .

انتشار البوذية فى الهند ثم انحسارها :

سادت البوذية بلاد الهند عقب وفاة بوذا ، حتى أوشكت أن تعمهـــا ، ولكنها عادت الى الذبول والانكماش والانحسار تحت ضغط الديانة الهندوكية ، وكان يمكن أن تذوب البوذية فى الهند منذ عصر مبكر ، لولا أن اعتنقها الملـــك أشوكا فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وجعل منها دينا رسميا للدولة ، وتعتبر فترة حكم أشوكا فى الهند من أزهى صفحات الحكم لا فى الهند وحدها بل الدنيـــا كلها ، حيث كان عهد سلام وبناء وانشاء ونشر للرحمة بكل وسائلها ، وقـــد أرسل أشوكا دعاة ومبشرين بالبوذية الى أنحاء العالم ، حتى لقد بعث بهم الى الاسكندرية فى ذلك الوقت ، وكان ذلك مبدأ قيام البوذية فى سيلان وفى غيرها من دول آسيا الجنوبية الشرقية ، ولكن البوذية التى بدأت تزدهر خارج الهند عادت من جديد للذبول فى الهند نفسها . . حتى انحسرت منها تقريبا ويحســـن بنا بعد ذلك أن ننتقل لعرض التعاليم البوذية .

الحقائق الأربعة النبيلة :

لخص بوذا لب تعاليمه فيما أسماه الحقائق النبيلة الأربع :

الحقيقة الأولى : الحياة الم .

منذ يولد الانسان حتى يموت والأكدار تلاحقه والآلام تسـيطر عليـه ، فالشيخوخة الم ، والمرض الم ، والموت الم ، وتعرض المـرء لما يكره ألـم ، والتفريق بينه وبين ما أو من يحب الم ، والاخفاق فى تحقيق مأربه الم .

الحقيقة الثانية : سبب الألم .

رغبات الانسان وشهواته سواء كانت مادية أم معنويـة ، والرغبة فى الصيرورة ، وشهوة اللذات وشهوة الحكم والسـلطات هذه كلها هى سـبب الآلام ، لأنها ليست سوى نار تحرق صاحبها ، وكلما تحققت الرغبات ولـدت رغبات جديدة أكثر اشتعالا فكأنها النار يصب عليها البترول .

الحقيقة الثالثة : ايقاف الألم .

عن طريق التحرر والخلاص بابادة الشهوات والرغبات وطردها نهائيا — وهذا هو جوهر البوذية .

الحقيقة الرابعة : كيفية منع الألم .

يمكن كبح جميع الشهوات والقضاء على كل الرغبات باتباع الطريق المثمن اى ذى الثمانية مبادىء .

١ — **الادراك الصحيح** — للحقائق الأربع النبيلة .

٢ — **الأهداف الصحيحة** — بالتخلى عن الملذات وعدم اضمار الحقد أو الحسد أو الكراهية أو رغبة الايذاء .

٣ — **القول الصحيح** — الابتعاد عن كل زور وبهتان فى القول وعن السب والاهانة وكل الألفاظ الخشنة أو الثرثرة الفارغة .

٤ — **السلوك الصحيح** — وهو العمل بفضائل الحياة مـع الضغط على التحذير من القتل وأخذ ما ليس من حق الإنسان ، وكل صنوف الاسـتهتار أو التحلل أو الاستغراق فى الشهوات (أنظر الوصايا العشر الآتية) :

٥ — **الجهد الصحيح** — وفى هذا المبدأ يقول بوذا : لسنا فى الحقيقة الا ثمرة لما يعتمل فى تفكيرنا ، فعندما يتكلم الانسان ، أو يتصرف بفكـرة شريرة ، فان الألم يتبع ذلك على الفور — واذا تكلم أو تصرف بأفكار خيرة فان السعادة تتبع ذلك كما يتبع الظل الشىء دائما .

٦ و ٧ — **ويندرج تحتها ضبط النفس** ، ويقول بوذا فى شرح هذا المبدأ — اذا كان هناك رجل قد انتصر على الف رجل فى ألف معركة ، وثمة رجل انتصر على نفسه فان هذا الأخير هو أعظم الرجلين (١) .

٨ — **النشوة الصحيحة** — وتلك هى ختام المراحل التى لا يحصل عليهـا الانسان الا من خلال التأمل والتفكير العميق للوصول الى الاشراق الروحى ، فيصبح الانسان حرا من كل العواطف التى تربطه بالحياة ، ويدخل بذلـك الى حالة السكينة والسلام سكينة النرفانا ، (وسوف نتحدث عنها فيما بعد) .

---

(١) وفى مثل هذا القول المأثور رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر — جهاد النفس .

(١) وفى مثل هذا القول المأثور : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر — جهاد النفس .

وصايا البوذية العشر :

هذه الوصايا تحدد السلوك الصحيح مما أشرنا اليه سابقا فى (٤) :

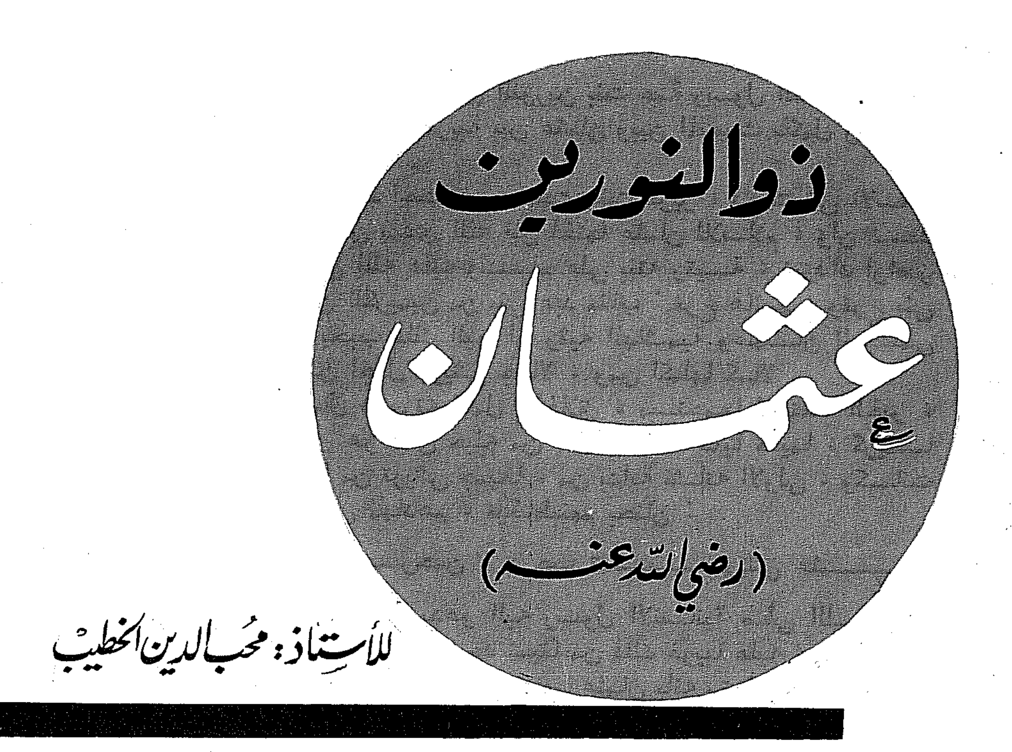
ــ لا تزهق روحا .
ــ لا تأخذ ما لا تستحق .
ــ لا تــــزن .
ــ لا تكذب أو تغش أحدا .
ــ لا تســـكر .
ــ كل باعتدال ولا تأكل شيئا أبدا بعد الظهر .
ــ لا تشهد رقصا ولا تسمع غناء أو تمثيلا .
ــ لا تلبس حليا ولا تتعطر ولا تتخذ زينــة .
ــ لا تنم فى فرش باذخة .
ــ لا تقبل ذهبـا ولا فضة .

والوصايا الخمس الاولى واجبة على كل بوذى على الدوام ، والخمس الاخيرة واجبة الاتباع فى أيام الصوم ، أما الرهبان فان عليهم اتباع الوصايـا كافة فى سائر الاوقات .

أوجه الكمـال العشـرة :

الكمال الأول ــ العطـاء ــ وهو أن يعطى الانسان بلا تحفظ .
الكمال الثانى ــ الواجـب ــ وهو أن يؤثر الانسان الموت على أن يفرط فى واجبه .
الكمال الثالث ــ النبـذ ــ وهو أن ينظر الانسان الى وجوده فى هـذه الدنيـا . كأنه سجن وان يترقب اطلاق سراحه .
الكمال الرابع ــ الفراسة والبصيرة ــ وهو أن يسأل الانسان الحكماء دائما لاغتنام البصيرة .
الكمال الخامس ــ الجراة ــ وهو التمسك بالشجاعة فى مواجهة الذات .
الكمال السادس ــ الصبر ــ كما تحمل الأرض كـل ما عليها من نقـاء وفساد لا تحس جذلا أو استياء فكذلك يجب أن يكون الانسان .
الكمال السابع ــ الصدق ــ وهو أن يثبت الانسان فى طريق الصدق لا يحيـد عنه أبـدا .
الكمال الثامن ــ القرار ــ كما يجثم الجبل الصخرى صامـدا لا تزحزحه الزوبعة فكذلك يجب أن يصمد الانسان فى قراره اذا أبرمه .
الكمال التاسع ــ الرحمة والشفقة ــ كما يطفى الماء غلة الصالح والطالح على السواء ويطهر أرجاسهم ، كذلك عليك أن تعامل صديقك وعدوك سواسية فى الرحمة والشفقة .
الكمال العاشر ــ الهدوء ــ كما تنظر الأرض هادئة الى ما على ظهرها من فاسد وطهور ، كذلك تلقى أنت الأفراح والأتراح فى هـدوء اذا أردت بلـوغ الحكمـة .

للحديث بقية



يسرنا ويسر القراء ان يستجيب العالم الكبير والكاتب الحجة الاستاذ محب الدين الخطيب لرغبتنا فى الكتابة لقراء الوعى الاسلامى . ولقد قضى الاستاذ محب الدين حياته الحافلة المديدة ان شاء الله فى الذود عن دين الله وعن عزة المسلمين . وقد اغرانى حديثه الذى استمعت اليه فى تليفزيون الكويت فى برنامج « شخصيات اسلامية » والذى تحدث فيه عن شخصية سيدنا عثمان رضى الله عنه . فى عدة حلقات اغرانى بدعوته للكتابة فى هذا الموضوع ، فلبى الدعوة مشكورا ومقدرا » .

نشأته :

ولد عثمان بن عفان بمكة فى السنة السادسة من عام الفيل ، فى أسرة كانت اقوى أسر قريش عصبية وجاها وثروة وعددا ومكانة . وأبوه عفان هو ابن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وقصى بانى مكة من حول الكعبة وحرمها ، ومؤسس مجد قريش الذى قال فيه شاعرهم :

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وعثمان يشترك فى النسب القريب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف بن قصى .

وأم عثمان هى أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، فهى تشترك فى النسب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف كذلك .

بل ان قرابة أمه من النبى صلى الله عليه وسلم اقرب من ذلك بكثير لانها هاشمية النسب من جهة أمها ، فهى بنت البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن

هاشم بن عبد مناف بن قصى ، فأم ذى النورين بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسبك هذا قرابة قريبة بين عثمان وبين المبعوث بأكمل رسالات الله صلوات الله وسلامه عليه .

ولأروى — أم عثمان — أخت هى سعدى بنت كريز ، دخلت فى الاسلام مبكرة ، وكانت ترغب فى أن يهدى الله ابن أختها عثمان للاسلام ، وأن تسعد بأن تراه صهرا للنبى صلى الله عليه وسلم على بنته رقية ، فتزداد أواصر القرابة وثوقا بين الفرعين الكريمين من بنى عبد مناف : فرع هاشم ، وفرع بنى عبد شمس . وكان مما يحبب ذلك اليها أن رقية الهاشمية وعثمان العبشمى الصهر المرجو لها كانا من أجمل قريش جمالا ، ومن أكملها كمالا .

كان عثمان مع جمال صورته كامل الأخلاق ، مستجمعا لصفات الخير ، فكان — مع الصدق الذى هو خلق جيله من أهل مكة — حييا حليما ، كريما رحيما ، لذلك كان محبوبا من قريش جميعا ، من بداية نشأته الاولى ، وكانت الامهات يناغين أطفالهن فى مهادهم ، فيخاطبنهم بحنان :

أحبــك والــرحمن حب قــريش عثمــان

ولما كان عثمان يسمع بما يدعو اليه رسول الانسانية صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق ومعاليها لا يجد شيئا من ذلك غريبا عليه ، بل ان هذه الرسالة تدعو الناس جميعا الى مثل ما يشعر عثمان بأنه متحل به من الاخلاق التى جعلته محبوبا الى قريش ، حتى ضربت نساؤها الأمثال لمحبتهن فلذات أكبادهن بمحبة قريش لعثمان .

من هنا كان لعثمان فى بدء ظهور الدعوة الأسلامية عواطف متجاوبة مع هذه الدعوة من أخلاقه التى فطره الله عليها ، فكان ذلك مع قرابة النسب بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم الى عبد مناف بن قصى ، وكون أمه أروى بنت عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، كل ذلك كان من الاواصر والميول النفسية التى سهلت على أبى بكر الداعية الأول للرسالة المحمدية مهمته فى اكتساب قلب عثمان ، وجعله أحد القلوب القليلة الأولى المؤمنة بآخر رسالات السماء الى الارض .

هذه خلاصة نشأة عثمان ، وهى نشأة فيها اعداد من الله ليكون عثمان حجرا من الاحجار الأولى فى بناء الاسلام .

اسلامه واصهاره الى النبى صلى الله عليه وسلم :

كان عثمان — كسائر شباب أسرته — مشتغلا بالتجارة ، وكان أبو بكر من أعيان تجار مكة ، وكان مؤلفا لقومه ، يدعو الى الاسلام من يثق به ، وكانت له مع عثمان صلات تجارية تتخللها أحاديث عن أحداث البلد ، وكان أهم أحداث البلد فى ذلك الحين قيام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى رسالته العظمى للانسانية كلها ، وكانت تعقد بينهما مجالس فى فناء الكعبة لهذا الغرض .

نقل الحافظ ابن حجر فى (الاصابة) عن كتاب (شرف المصطفى) لأبى سعد النيسابورى ، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالديباج روى عن أبيه عن جده ، أن جده الاعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال :

« كان لى مجلس من أبى بكر ، فاتيته فأصبته فى مجلسه ، ولا أحد عنده ، فجلست اليه فرآنى متفكرا ، فسألنى عن أمرى — وكان رجلا رقيقا — فاخبرته

بما سمعته من خالتى ، فقال لى : ويحك يا عثمان ، والله انك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل . هذه الأوثان التى يعبدها قومك أليست حجارة صما لا تسمع ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع ؟ قلت : بلى والله انها لكذلك . قال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته الى جميع خلقه فهل لك أن تأتيه وتسمع منه ؟ فقلت : نعم . فوالله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على بن أبى طالب ، يحمل ثوبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه أبو بكر قام اليه فساره فى أذنه ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقعد ، ثم أقبل على فقال : يا عثمان ، أجب الله الى جنته ، فانى رسول الله اليك والى جميع خلقه . قال عثمان : فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت ، وشهدت أن لا اله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . ثم لم ألبث أن تزوجت رقية » .

وذلك لأن خالته سعدى كانت من ورائه ، ووراء رقية حريصة على اتمام هذا الزواج .

قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة سعدى بنت كريز ، بعد ان نقل هذا النص عن قول عثمان نفسه عن كتاب (شرف المصطفى) : « وكان يقال : احسن زوجين رآهما انسان رقية وزوجها عثمان » ، ويقول أبو المقدام مولى عثمان : بعث النبى صلى الله عليه وسلم مع رجل بهدية الى عثمان ، فاحتبس الرجل ، أى تأخر فى العودة ، الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم ، ما حبسك الا كنت تنظر الى عثمان ورقية .

وفى اسلام عثمان ومصاهرته النبى صلى الله عليه وسلم تقول خالته سعدى :

هدى الله عثمان الصفى بقوله	فأرشده ، والله يهدى الى الحق
فتابع بالرأى السديد محمدا	وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وانكحه المبعوث احدى بناته	فكان كبدر مازج الشمس فى الافق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتى	فأنت أمين الله أرسلت فى الخلق

ويقول الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : قيل انه ولدت له رقية ابنا ، فسماه عبد الله ومات ، ثم ولد له عمرو فاكتنى به الى أن مات . هذا ما عرفه التاريخ من خبر اصهار عثمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هجرته الى الحبشة :

بعد اسلام عثمان واصهاره الى النبى صلى الله عليه وسلم اشتدت الحال على المسلمين فى مكة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان من قبل يلين فى دعوة قريش الى الاسلام ، ثم اشتد فى ذكر أوثانهم ومعبوداتهم ، فتألبوا عليه . وائتمروا على المسلمين ، وشرعوا فى ايذائهم ، قال ابن اسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه ، وانه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد . وكانت هجرة الحبشة عند دخول النبى صلى الله عليه وسلم شعب عبد المطلب ، وفترة عيشه فى حمى أبى طالب .

كتب امير المؤمنين عبد الملك بن مـــروان فى زمن خـــلافته الى عروة بن الزبير يسأله عن هجرة الحبشة . فكتب اليه عروة : « أما بعد فانه ـــ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى انزل عليه ، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ، حتى ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال انكروا ذلك عليه ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، واغروا به من أطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه ، الا من حفظه الله منهم وهم قليل ، فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من ابنائهم واخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الاسلام ، فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء . فلما فعل ذلك بالمسلمين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشى لا يظلم أحـــد بأرضه ، وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش ، يتجرون فيها ، يجدون فيهـــا رفاغا (هنيئا) من الرزق ، وامنا ، ومتجرا حسنا ، فأمرهم بها رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم .. » .

قال أبو جعفر الطبرى : فاختلف فى عدد من خرج الى أرض الحبشة ، وهاجر اليها هذه الهجرة الاولى ، فقال بعضهم : كانوا فى البداية احد عشر رجلا واربع نسوة ، وهم : عثمان بن عفان معه امراته رقية بنت رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة الاموى ، معه امراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام الاسدى ، ومصعب بن عمير من بنى عبد الدار سدنة الكعبة ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وابو سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، معه امرأته أم سلمة بنت ابى أمية المخزومية ، وعثمـــان بن مظعون الجمحى ، وعامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى بن كعب ، معـــه امرأته ليلى بنت ابى حثمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم العامرى ، وحاطب بن عمرو ابن عبد شمس ، وسهيل بن بيضـــاء من بنى الحارث بن فهر ، وعبد اللـــه بن مسعود حليف بنى زهرة . خرجوا من مكة حتى انتهوا الى الشعيبة ، منهـــم الراكب والماشى . ووفق الله للمسلمين من أهل هذه الهجرة الاولى ـــ ساعة جاءوا الشعيبة ـــ سفينتين للتجار حملوهم فيهمـــا الى أرض الحبشـــة بنصف دينار ، وكان مخرجهم فى رجب فى السنة الخامسة من حين نبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركب المهاجرون ، فلم يدركوا منهم أحدا . قالوا وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه .

قال الطبرى : فكان أول من خرج من المسلمين من بنى امية بن عبد شمس ابن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ومعه امرأته رقيـــة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الحافظ الذهبى فى تاريخ الاسلام عن أنس بن مالك قال : خرج عثمان برقية بنت رسول الله الى الحبشة فأبطأ خبرهم ، فقدمت امـــراة من قريش فقالت : يا محمد ، قد رأيت ختنك ومعه امرأته ، فقال : على أى حال رأيتهما ؟ قالت : رأيته حمل امراته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط .

بعض جوانب من أخلاقه وشخصيته وفضائله :

كانت الأخلاق الغالبة على ذى النورين عثمان السكينة والحلم والرحمة ، وطول العبادة والسخاء والكرم والعدل ، وحب العافية فى الدين والدنيا ، للفرد وللجماعة .

روى عبد الله بن المبارك عن الزبير بن عبد الله أن جدته أخبرته — وكانت خادما لعثمان — قالت : كان عثمان لا يوقظ نائما من أهله الا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه للصلاة .

وكان وضوؤه وصلاته كأنهما وضوء النبى صلى الله عليه وسلم وصلاته ، وفى كتب السنة بيان كيف كان الناس يتعلمون وضوء النبى صلى الله عليه وسلم من وضوء عثمان .

بئر رومة

ومن أمثلة كرمه عقب هجرتهم الى المدينة أن يهوديا كان يملك بئرا يحتاج المسلمون الى تناول الماء منها ، فلا يمكنهم اليهودى من ماء هذه البئر — واسمها بئر رومة — الا بالثمن الذى يجهدهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى بئر رومة فيجعلها للمسلمين ، يضرب بدلوه فى دلائها ، وله بها مشرب فى الجنة ؟ فأتى عثمان اليهودى فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر الف درهم ، فجعل عثمان نصف البئر للمسلمين ، وقال لليهودى : ان شئت جعلت على نصيبى قرنين نستقى عليهما ، وان شئت فلى يوم ولك يوم . قال اليهودى : بل لك يوم ولى يوم . فكان اذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين . فلما رأى اليهودى ذلك قال لعثمان : أفسدت على ركيتى (بئرى) ، فاشتر النصف الآخر ، فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم ، وصارت البئر كلها مباحة للمسلمين فى كل يوم يستقون منها مجانا وبلا أى حرج .

ومن عجائب الاقدار فى تقلبها ، وعجائب الناس فى مكافأتهم للمحسنين من رجالهم على احسانهم ، أن يحاصر دعاة الفتنة أمير المؤمنين عثمان فيمنعوه الشرب من ماء رومة ، ومن كل ماء ، فيشرف عثمان على دعاة الفتنة ويقول لهم : السلام عليكم ، فما يرد عليه أحد ، فقال لمن هناك من المسلمين الأولين : أنشدكم الله ، هل تعلمون أنى اشتريت بئر رومة من مالى وجعلت رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين ؟ فقيل : نعم . فقال : فعلام أمنع من مائها وأفطر على الماء المالح ؟! لأنه كان صائما ، واذا أراد أن يفطر لا يجد الا ماء بئر مالح فى داره .

شراؤه الارض لتوسعة المسجد

ولما ازداد عدد المسلمين بعد الهجرة الى المدينة ، وضاق المسجد النبوى بالمصلين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد فى مسجدنا ؟ فاشترى عثمان رضوان الله عليه موضع خمس سوارى من الارض ، فزاد فى سعة المسجد ما يوسع على المسلمين .

فلما كانت الفتنة منعوه فى آخر الأمر من الصلاة فى المسجد ، الذى زاد فيه من ماله ، وهو فى أقل التقدير له حق الصلاة فيه كما كان يصلى فيه على

مقربة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بين الهجرة والوفاة النبوية ، فخاطبهم معاتبا وسائلا : هل منع من الصلاة فى هذا المسجد أى مسلم قبل أن يقع المنع عليه ؟!

تجهيز جيش العسرة

وفى غزوة تبوك ــ وكانت تسمى غزوة العسرة ، لشدة من الحر وجدب فى البلاد ، وحين طابت الثمار والظلال فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها فى الحر والجدب ــ فحض النبى صلى الله عليه وسلم أهل الغنى على النفقة والتبرع بالركائب ، لحملان المجاهدين فى سبيل الله ، فحمل رجال من اهل الغنى فاحتسبوا ، وانفق عثمان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم من نفقته ، فقد بلغ ما جهزه عثمان بنفسه لجيش العسرة تسعمائة وخمسين بعيرا واتم الألف بخمسين فرسا ، ثم زاد ذلك حتى بلغ الف بعير وسبعين فرسا .

وليقارن المسلم ذلك بحال عثمان لما قتل ، واحتيج الى حمله للقبر الذى يوارى فيه ، كيف حمل ؟ ، وكيف واراه اهل الحق والخير بالخفاء والستر على مالا يرضاه الله ورسوله وصالح المؤمنين .

فى ايام خلافته

وفى أيام خلافته فتحت الفتوح ، وسارت رايات الاسلام عزيزة ظافرة فى كل فج ، حتى دخلت فى الاسلام بلاد المسلمين التى فى روسيا الآن مجتازة الدربند التى كانوا يسمونها باب الابواب ، مما لم تبلغه دولة الأكاسرة فى أقوى عصورها .

وكانت الامة فى عدل ورخاء ومحبة وتناصف . روى السدى عن السرى ابن يحيى عن ابن سيرين قال : كثر المال فى زمن عثمان ــ ولم يكن المال فى زمانهم الا الفضة والذهب ــ حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة الف درهم ، ونخلة بألف درهم .

وقال الحسن البصرى سمعت عثمان يخطب وهو يقول : يا أيها الناس ، ما تنقمون على ، وما من يوم الا وأنتم تنفقون فيه خيرا ؟

قال الحسن : وشهدت منادى عثمان ينادى : يا أيها الناس اغدوا على عطيتكم ، فيغدون ، ويأخذونها وافية . يا أيها الناس أغدوا على أرزاقكم ، فيغدون ، فيأخذونها وافية . حتى والله سمعته إذناى يقول : أغدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل . واغدوا على السمن والعسل . قال الحسن : أرزاق دارة ، وخير كثير ، وذات بين حسن . وما على الارض مؤمن يخاف مؤمنا الا يوده ، وينصره ، ويألفه . فلو صبر الانصار على الاثرة ــ اى كما أوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم ــ لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من سل ، فصار عن الكفار مغمدا ، وعلى المسلمين مسلولا !!

لماذا ولى أقاربه

روى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه ، ولعله يشير الى تولية عثمان اقاربه من بنى أمية ، وهم كانوا أهل كفاءة وبراعة فى صناعة الحكم ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من ولى هذه الاسرة الاحكام ، وبولايتهم كان

الخير والرزق والسعة والعدل ، وسائر ما وصف به الحسن البصرى المجتمع الاسلامى أيام خلافة عثمان ، فرجال عثمان كانوا بين فاتح ظافر لا نظير له ، وبين حاكم حليم عادل لا مثيل له .

وبعد وقعة الجمل لما ولى على عبد الله بن عباس على البصرة غضب الأشتر وقال : فلان على البصرة ، وفلان على اليمن ، وفلان على الحجاز ، ففيم قتلنا الشيخ اذن ؟ ويعنى بالشيخ ذا النورين ، يشكو من ولاية على اقاربه ، وغضب وركب فرسه وتوجه الى الكوفة ، فترك على أعماله ، ولحق بالاشتر مسرعا لئلا يثير عليه فتنة كالتى أثارها على عثمان .

ان ادارة عثمان العادلة ، وطريقته الرحيمة فى الحكم ، وتوسعه الباهر فى الجهاد والفتوح ، وادخال الامم فى دين الله أفواجا ، قد جعل مدة خلافة عثمان لا يكاد يكون لها نظير فى اذاعة الاسلام واشاعته ، وهذا هو اللائق بعثمان ، وما كان يرجوه له ويدعو له به خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يعلم بوحى من الله ، أن عثمان سيكون من أهل الشهادة والجنة .

روى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن أحد كرام التابعين ، عن طلحة بن عبيد الله احد العشرة المبشرين بالجنة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان » .

وفى كتاب فضائل الصحابة من صحيح الامام مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى عثمان : ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة » ؟ .

وقال النزال بن سبرة : قلنا لعلى حدثنا عن عثمان . قال : ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى « ذا النورين » .

وقيل للمهلب بن ابى صفرة : لم قيل لعثمان « ذا النورين » ، فقال : لانه لم يعلم أن احدا أرسل سترا على ابنتى نبى غيره .

وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : سألت ربى أن لا يدخل النار أحدا صاهر الى أو صاهرت اليه .

وفى صحيح البخارى عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : كنا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبى بكر أحدا ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم .

وقال عبد الله بن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة : بايعنا خيرنا ولم نأل .

ووصفه على بن ابى طالب بعد انقضاء أجله فقال : كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين .

وقال على فى عثمان بعد انتهاء الفتنة : من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الايمان . والله ما أعنت على قتله ، ولا أمرت ولا رضيت ، ويؤيد قول على فى ذلك فعله طول مدة الفتنة ، فقد جعل ابنيه — الحسن والحسين — فى حراسة عثمان ، وأمرهما أن يطيعاه فى الدفاع عنه ، وأن يكونا عونا له فى كل ما يطلب ويرغب مما يستطيعانه . ولما كان اليوم الاخير — يوم الشهادة لعثمان — كان الحسن بن على أحد الجرحى فى الدفاع عنه .

وروى موسى بن طلحة قال : أتينا عائشة رضى الله عنها نسألها عن عثمان ، فقالت ، اجلسوا أحدثكم عما جئتم له . انا عتبنا على عثمان رضى الله عنه فى ثلاث خصال — ولم تذكرهن — فعمدوا اليه ، حتى اذا ماصوه كما يماص الثوب بالصابون ، اقتحموا عليه الحرم الثلاث : حرمة البلد الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، وحرمة الخلافة . ولقد قتلوه وانه لمن أوصلهم للرحم ، وأتقاهم لربه رضى الله عنه فى الخالدين .

شهيد مؤتة
جعفر الطيار

له صادق الحب فى خافقى ... شهيد بفردوسه الشاهق

أهيم بأخباره النيرا ... ت وأهفو لايمانه الصادق

وأسعى الى ورده ظامئا ... لأنهل من فيضه الدافق

وأشدو الأغاريد فى مدحه ... وإطراء اسلامه السابق

وما كان شعرى لآل النبى ... سوى مقول بالشذا عابق

قبست الهدى من ينابيعهم ... ولذت بدوحهم الوارق

تغلغل منذ الصبا حبهم ... بنفسى وأهديتهم خافقى

وما الحب إلا لأربابه ... أولى الفضل والمحتد السامق

وهل صيغ قلبى لغير الهوى ... وللحب فى طوره الفائق

وهذا يراعى لفى لهفة ... لتسطير مجد الفتى الباسق

واحلاله فى رياض القريض ... بموضعه الزاهر المشرق

فتى قد أتاه نداء الهدى ... فلباه تلبية العاشق

وسار الى الروم فى جحفل ... به كل مستبسل حاذق

فما بينهم فارس مارق ... وهل فى الميامين من مارق

ترفرف فى الأفق راياتهم ... الى النصر رفرفة الواثق

وليس الجهاد لصحب الرسول ... سوى منية المولع الوامق

وفرحتهم بصليل السيوف ... اذا أطبق النقع من حالق

* * *

جعفر بن ابى طالب ذو الجناحين . شهيد مؤتة وخطيب المهاجرين الى الحبشة .

كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث جيشا لغزو الروم فى السنة الثامنة للهجرة واعطى الراية لزيد بن حارثة ، فان قتل فالراية لجعفر بن ابى طالب ، فان قتل فلعبد الله بن رواحه ، وقد قتل الثلاثة فى مؤته على مرحلتين من بيت المقدس ، وقتل جعفر بعد قطع يديه قبل الغروب وهو صائم وفى جسمه أكثر من تسعين جرحا ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ، ويروى عنه انه لما فقد يديه اخذ الراية باحضانه الى ان قتل ، وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا بيديه ، جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء،وقد اخذ الراية بعد الشهداء الثلاثة خالد بن الوليد الذى استطاع أن ينقذ الجيش بخدعة حربية نادرة المثال ويعود به للمدينة . وكان جيش العدو يفوقه خمسين مـــرة ..

فالى احفاد زيد وجعفر وعبد الله وخالد اهدى قصة الاجداد لعلها تنفع فى مثل هـــذه الايام ألشـــداد .

للاستاذ: فاضل خلف

وســـار الشهيد على دربـــــه	لســـاح القتـــال بلا عائـــــق
يصوم لخالقـــه فى النهــــار	ويســـجد فى ليلـــه الغاسق
الى ان بدا الروم فى زحفهـم	يموجون فى عســكر حانـــق
فهب الكمى : فتـــى هاشـــم	وافصح عن صيتـــه الناطـــق
وجاهـــد وهو حليف الوغـــى	وجالد بالصـــارم الصـــاعق
وأصبح وهو ربيـــب العلـــى	يذود عـــن العلـــم الخافـــق
ولابـــن ابى طالب صولـــــة	بســـيف لهام العـــدا فالـــق
يشـــق صـــفوفهم ظـــافـــرا	ويرفل فى نصـــره الســـاحق
الى ان أتـــاه نـــداء الســماء	وموئلهـــا الخالـــــد الشائق
فحزت يداه بســـاح الجهـــــاد	وخر اللواء مـــع البـــــارق
وقد أسلم الروح فى مؤتـــــة	وطار اشتياقـــا الـــى الخالق
ومؤتـــة خطت بســـفر الخلود	فصولا عن المعجـــز الخـــارق

***

وجـــاء الـــى المصطفى امـــره	واصغى الـــى الخبـــر الطارق
فاسمع اصـــحابه الأوفيـــاء	حديثا عـــن الواهـــب الرازق
جناحان فى الخلد ــ بشراكم ــ	اعدهما اللـــــه للباشـــــق
يطيـــر بفردوســـــه جعفـــر	ويرشف من كوثـــر رائـــــق

قضاء الله في بني إسرائيل [1]

للدكتور: محمد سيد طنطاوي

جامعة البصرة

الأمم — ولا سيما — فى أوقات الشدائد والمحن ، احوج ما تكون الى الايمان العميق ، والاخاء الوثيق ، والتفكير السليم ، والاعتبار بسنن الله فى خلقه ، ونبذ الاشاعات الضارة التى تحول بينها وبين ما تصبو اليه من عزة وطمأنينة .

ومن الاشاعات الكاذبة التى روجها ضعفاء النفوس فى الأيام الأخيرة اشاعة تقول :

« ان انتصار اليهود على المسلمين فى الحرب القريبة الماضية إخبرت عنه الكتب السماوية) ثم يدعمون مزاعمهم هذه بقوله تعالى : ((**وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)) (٢) .**

ولا شك ان هذه الآيات ابعد ما تكون عما أشاعه أولئك المضللون ، أو المضللون الذين يهدفون من وراء أكاذيبهم الى أن يرضى المسلمون بالذل والهوان ، وان يستسلموا لأنها — فى زعمهم — أمر أخبر عنه القرآن الكريم :

ويهمنا بهذه المناسبة ان نوضح أمرين رئيسيين :

اولهما : تفسير الآيات الكريمة :

وثانيهما : بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم فى الأرض .

---

(١) هذا المقال مقتبس من رسالة حصل بها الكاتب على (الدكتوراه) بتقدير (**ممتاز**) **فى** التفسير والحديث ، من جامعة الازهر — كلية أصول الدين ، وكان موضوعها (بنو اسرائيل **فى** القرآن والسنة) وتبلغ صفحاتها زهاء ثمانمائة صفحة .. وستطبع قريبا — باذن الله .

(٢) سورة الاسراء الآيات ٤ — ٨ .

ولتوضيح الأمر الأول نقول :

قوله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب .. » معناه : واوحينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب — وهو التوراة — وحيا مؤكدا واعلمناهم فيه على لسان نبيهم موسى — عليه السلام — بما سيقع منهم من افساد كبير فى ارض الشام مرتين ، كما قال تعالى (لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) اى : لتعصن الله تعالى ، ولتخالفن امره فى ارضه مرتين . ولتستعلن على الناس بغير حق استعلاء عظيما ، يؤدى بكم الى الخسران والدمار .

فان قال قائل : وما الفائدة فى ان يخبر الله بنى اسرائيل فى كتابه انهم يفسدون فى الأرض مرتين ، وانه يعاقبهم على ذلك عقابا اليما ؟ .

فالجواب : ان اخبارهم بذلك يفيد أن الله لا يظلم الناس شيئا ، وانما يعاقبهم بما كسبت أيديهم ، ويعفو عن كثير ، وان رحمته مفتوحة للتائبين ، كما يفيد أن الأمم المغلوبة على أمرها : تستطيع ان تسترد عزتها المسلوبة ، وكرامتها المغصوبة وأوطانها المنهوبة ، متى استقامت على امر الله ، واخذت بأسباب القوة والنصر فى كل شؤونها .

ثم بين — سبحانه — ما سيحل بهم من عقوبات بسبب فسوقهم عن امره فقال تعالى (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) اى : فاذا جاء وقت عقابكم — يا بنى اسرائيل — على المرة الأولى من افسادكم فى الأرض ، سلطنا عليكم عبادا لنا ذوى قوة وبطش فى الحرب ، فأنزلوا بكم الهوان ، وترددوا بين مساكنكم لقتلكم ، وسلب أموالكم ، وهتك اعراضكم ، وتخريب دياركم ، وكان ذلك العقاب لكم ، وعدا نافذا لا مرد له ولا مفر لكم منه .

ثم اخبر — سبحانه — انه نصرهم على اعدائهم حين أصلحوا انفسهم فقال تعالى : (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) . اى : أعدنا لكم الدولة والغلبة على أعدائكم الذين قهروكم وأذلوكم بعد أن أحسنتم العمل ، وأمددناكم بالأموال والبنين ، وصيرناكم أكثر عددا ، وأعز ناصرا ، فعليكم أن تقدروا هذه النعم وتؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى تعرفون صدقه كما تعرفون أبناءكم .

وقوله تعالى بعد ذلك : (ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها) بمثابة التعليل لما قبله ، فكأنه — سبحانه — يقول لهم : رددنا لكم الكرة على أعدائكم وغمرناكم بنعمنا بعد ان اصلحتم شأن انفسكم ، لتعلموا سنة من سننا التى لا تتغير ولا تتبدل وهى أن الفساد فى الأرض عاقبته الدمار وتخريب الديار ، وان الاحسان والطاعة عاقبتهما النصر والاستقرار .

ثم بين — سبحانه — انه سيكون منهم افساد كبير مرة ثانية . وانه سيبعث عليهم من يذلهم فقال تعالى : (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) اى : فاذا جاء وقت عقابكم على المرة الثانية من مرتى افسادكم . سلطنا عليكم اعداءكم ليجعلوا آثار الكآبة والذلة بادية على وجوهكم . وليدخلوا المسجد الاقصى فاتحين غالبين كما دخلوه اول مرة ، وليدمروا ما ظفروا به تدميرا شديدا .

وكان من مظاهر مفاسدهم فى المرتين . تحريفهم للتوراة . وتركهم العمل بها ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه . واكلهم أموال الناس بالباطل ... الخ .

ثم بين سبحانه ان هذا الدمار الذى حل بهم قد يكون طريقا لرحمتهم ، ان فتحوا قلوبهم للحق ، فقال تعالى : (عسى ربكم أن يرحمكم وأن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) .

اى : لعل ربكم ان يرحمكم ويعفو عنكم متى أخلصتم العبادة واحسنتم العمل ، فان من سنته سبحانه انه لا ينزل بلاء الا بذنب ولا يرفعه الا بتوبة ، أما اذا عدتم الى المعاصى ، فانه سيعود عليكم بالعقاب والتعذيب ، ولقد عادوا الى المعاصى فسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة ولهم بعد ذلك فى الآخرة جهنم وبئس المهاد .
قال ابن عباس : (عادوا الى المعاصى فسلط الله عليهم المؤمنين فأذلوهم وقهروهم) .

هذا ، وقبل ان نتحدث عن الأمر الثانى نسوق بين يديه هذه المقدمات :
أ — لم يرد عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديث صحيح فى بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم .
ب — الافساد فى الأرض قد حدث من اليهود كثيرا ، والمقصود من قوله تعالى (لتفسدن فى الأرض مرتين) انما هو أظهر مرتين حدث فيهما الافساد منهم ، ومما يدل على تكرر معاصيهم ومفاسدهم قوله تعالى (وان عدتم عدنا) كذلك مما يدل على أن التسليط عليهم مستمر الى يوم القيامة قوله تعالى (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ..) .
ج — الرجوع الى التاريخ الصحيح هو الذى يعيننا على معرفة المسلط عليهم بعد مرتى افسادهم .
د — نعتقد أن المقصود من سياق الآيات ، بيان سنة من سنن الله فى الأمم حال اصلاحها وفسادها ، وقد ساق القرآن ، هذا المعنى بأحكم عبارة فى قوله تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) .

ويعجبنى فى هذا المقام قول الامام الرازى : (واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض فى معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم ، بل المقصود انهم لما أكثروا من المعاصى سلط الله عليهم أقواما آخرين فقتلوهم وأذلوهم) (١) .
ومع ايماننا بأن الآيات واردة لبيان سنة الله فى خلقه وانه لا يتعلق كثير غرض من معرفة الأقوام الذين سلطوا على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم ، الا أننا نحاول التعرف على أولئك الأقوام الذين اختلف المفسرون فى شأنهم اختلافا كبيرا ، واضطربت أقوالهم عنهم اضطرابا شديدا فنقول بايجاز شديد .
الرأى الذى نختاره أن المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض ، هم جالوت وجنوده ، ونستند فى اختيارنا لهذا الرأى الى أمور من أهمها ما يلى :

اولا : صرح بعض المفسرين بأن القوم الذين أخرجوا بنى اسرائيل من ديارهم هم جالوت وجنوده ، قال ابن جرير : قال ابن عباس (بعث الله عليهم فى الأولى جالوت فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم الخراج ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا فى سبيله فبعث لهم طالوت فقاتلوا جالوت وانتصروا عليه ، وقتل جالوت بيد داود ..) (٢) .

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٢٠ ص ١٥٦ طبعة عبد الرحمن محمد ولابن كثير وأبى حيان كلام يشبه كلام الرازى فراجعهما .
(٢) تفسير ابن جرير ج ١٥ ص ٢١ طبعة الحلبى الآيات ٢٤٥ — ٢٥٢ .

ثانيا : ذكر القرآن الكريم فى سورة البقرة قصة القتال الذى دار بين بنى اسرائيل وبين جالوت وجنوده ، وبين فيها ما يدل على انهم كانوا قبل ذلك القتال مهزومين مستذلين ، ويتجلى هذا المعنى فى قولهم لنبيهم (وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فهذا القول منهم — كما حكاه القرآن — يدل على أنهم قبل قتالهم لجالوت كانوا قد هزموا على أيدى أعدائهم هزائم منكرة اضطروا معها الى الخروج من ديارهم ومفارقة أبنائهم ، والذين أوقعوا بهم هذه الهزائم هم جالوت وجنوده كما قال بعض المفسرين .

ثالثا : قوله تعالى (ثم رددنا لكم الكرة عليهم . .) صريح فى أن الله نصر بنى اسرائيل — بعد أن تابوا وأنابوا — على أعدائهم الذين جاسوا خلال ديارهم ، ولقد كان هذا النصر نعمة كبرى لهم ، لأنه أتاهم بعد أن أخرجوا من ديارهم وبعد أن اعترضوا على اختيار (طالوت) ملكا عليهم ، وبعد أن قاتل معه عدد قليل منهم ، أما أكثرهم : فقالوا : (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . .) .

رابعا : قوله تعالى (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) ينطبق على العهد الذى تولى فيه داود وسليمان — عليهما السلام — حكم بنى اسرائيل ، ففى ذلك العهد ازدهرت مملكتهم ، وصاروا أكثر نفيرا من أعدائهم . . وتاريخهم قبل ذلك وبعد ذلك ، هو فى مجموعه سلسلة من المآسى والنكبات التى حلت بهم بسبب ظلمهم وبغيهم من مختلف الشعوب وفى شتى العصور .

هذا ما نرجحه فى بيان المراد بالعباد الذين سلطوا على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض ، أما المراد بالعباد الذين سلطوا عليهم بعد افسادهم الثانى ، فيرى جمهور المفسرين انهم البابليون بقيادة (بختنصر) فقد غزاهم ثلاث مرات الأولى سنة ٦٠٦ ق.م ، والثانية سنة ٥٩٩ ق.م . والثالثة سنة ٥٨٨ ق.م ، وفى هذه المرة الثالثة ، قتل زهرة شبابهم . وهدم هيكلهم ، وساق الأحياء منهم أسارى الى بابل ، وقد ظلوا فى أسره زهاء خمسين سنة ، ثم انقذهم منه (قورش) الفارسى الذى تربى فى حجر (أستير) اليهودية . . وهذا الرأى ليس ببعيد عن الصواب لما ذكرنا من تنكيله بهم ، ولكنا نؤثر عليه أن يكون المسلط عليهم فى هذه المرة ، هم الرومان بقيادة (تيطس) لأمور اهمها :

أولا : الذى يتتبع التاريخ يرى أن رذائل اليهود فى الفترة التى سبقت تنكيل الرومان بهم اشد وافحش من رذائلهم التى سبقت اذلال (بختنصر) لهم ، وبالتالى كان تسليط الرومان عليهم أنكى وأقسى ، فهم — على سبيل المثال — قبيل بطش الرومان بهم كانوا قد قتلوا من أنبياء الله زكريا ويحيى — عليهما السلام — ، وحاولوا قتل عيسى ، واتخذوا لذلك جميع السبل ، ولكنهم لم يفلحوا لأسباب خارجة عن ارادتهم ، وقد قتلوا — فعلا — شبيه عيسى ظنا منهم أنه عيسى عليه السلام .

ثانيا : التاريخ الصحيح لا يؤيد ما ذكره المفسرون من أن الله تعالى سلط عليهم (بختنصر) بعد افسادهم الثانى فى الأرض بسبب قتلهم لزكريا ويحيى عليهما السلام ، وذلك لأن ، بختنصر يسبق عصرهما بخمسة قرون على الأقل ،

وقتل اليهود لهذين النبيين الكريمين . ومحاولتهم قتل عيسى . كان فى عهد حكم الرومان لفلسطين (١) . ولم يكن فى عهد (بختنصر) البابلى .

ثالثا : ضربات الرومان فى ذاتها كانت اشد واقسى على اليهود من ضربات (بختنصر) .

فقد وصف المؤرخون النكبة التى اوقعها بهم الرومان بأوصاف تفوق ما انزله بهم (بختنصر) ، يقول احد الكتاب كان (تيطس) فى الثلاثين من عمره حينما وقف سنة ٧٠ ميلادية أمام اسوار اورشليم على راس جيشه ، واخذ سكانها من اليهود يعانون أهوال الحصار ، وسرت فيهم المجاعات ، فكانوا يخرجون على ايديهم وارجلهم كالاشباح الذابلة . تسبقهم الشائعات بأنهم قد ابتلعوا الذهب فى بطونهم ، فكان جند الرومان يتصيدونهم فى الظلام . ثم يشقون بطونهم بحثا عن الذهب .. وبعد ان اقتحم الرومان (اورشليم) استباحوها ، ثم احرقوا هيكل اليهود ودمروه ، وتحققت نبوءة المسيح حين قال : (ستلقى هذه الأرض بؤسا وعنتا وسيحل الغضب على اهلها ، وسيسقطون صرعى على حد السيف ، ويسيرون عبيدا الى كل مصر ، وستطأ (اورشليم) الأقدام) (٢) .

رابعا : ضربات الرومان — من حيث آثارها على اليهود — اشنع من ضربات (بختنصر) وذلك لانهم بعد تنكيل (بختنصر) بهم . استطاعوا أن يعودوا الى فلسطين تحت حماية (قورش) الفارسى ، اما بعد تنكيل الرومان بهم فقد مزقوا شر ممزق وانقطع دابرهم كأمة . وقضى على كيانهم كدولة او ما يشبه الدولة .

يقول صاحب (تاريخ الاسرائيليين) بعد وصفه لما حل باليهود على يد (تيطس) :

(الى هنا ينتهى تاريخ الاسرائيليين كأمة ، فانهم بعد خراب أورشليم على يد الرومان ، تفرقوا فى جميع البلاد ، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التى نزلوا فيها) (٣) .

ولهذه الأسباب نرجح ان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الاول فى الأرض هم (جالوت وجنوده) والذين سلطهم عليهم بعد افسادهم الثانى هم الرومان بقيادة (تيطس) .

اما الحقيقة التى نعتقدها ونكررها فهى ان الآيات الكريمة مسوقة لبيان سنة من سنن الله فى خلقه ، وهى أن الامم التى تفرط فى جنب الله ، وتنتهك حرماته ، وتهمل الأخذ باسباب النصر الروحية والمادية ، هذه الأمم — فى كل زمان ومكان — مصيرها الفشل والخسران .

اما الأمم المؤمنة بربها ، القوية فى كل شأن من شؤونها ، فان العاقبة ستكون لها . وما يصيبها من هزيمة فى بعض المواقف ، ما هو الا نوع من الامتحان الذى يصقل النفوس ، ويميز الخبيث من الطيب ، وهذا وعد الله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) .

والعاقل هو الذى يعتبر بسنة الله التى لا تتبدل ولا تتحول .

---

(١) حكم الرومان لفلسطين استمر من سنة ٦٣ ق.م الى سنة ٦١٤ ميلادية ، ثم خضعت لحكم الفرس من سنة ٦١٤ الى سنة ٦٢٨م ، ثم عادت الى حكم الرومان من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٣٦م ثم فتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ الموافق ٦٣٦م ..

(٢) من مقال للأستاذ عمر طلعت زهران ، عنوانه (تدمير أورشليم) نشر بمجلة الأزهر المجلد ٢١ ص ٤٧ .

(٣) تاريخ الاسرائيليين . ص ٧٧ لشاهين مكاريوس طبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ م .

كان عمر مجتهدا وعبقريا في اجتهاده

للأستاذ: محمد البلتاجي

من الحقائق المسلم بها فى تاريخ الفكر البشرى بعامة أن اتحاد الغـايه والهدف لا يتضمن بالضرورة اتحاد المقدمات والوسائل . فكثيرا ما تتفق الغايات المقصودة مع الاختلاف الكبير فى الوسـائل والمقدمات المتبعة فى الوصـول اليها.

وهــذا يصدق الى أقصى حد على هذا التعليق الذى اقدمه هنـا حول مقـال « حول اجتهادات الخليفة عمر بن الخطـاب » للاستاذ محمود مهدى استانبولى الذى نشر فى العدد الحادى والثلاثين .

فبالرغم من اتفاقى التام معه فى ان الذين نظروا الى التشريعات العظيمة التى تمت فى خلافة عمر بن الخطاب على انها مخالفات منه لنصوص التشريع ــ قد جانبوا الحق فى نظرهم هذا ، وبالرغم من اتفاقى معه ايضا فى أن هذه التشريعات كانت تطبيقا لهذه النصوص ، ولم تكن بأى حال من الاحوال مخالفة او تركا لها . بالرغم من ذلك فاننى اختلف معه تماما فى المقدمات ، ووجهـات النظر ، والمقررات التى ساقها للوصول الى هذه النتيجة التى اتفق معه عليها تماما . وذلك على التفصيل الآتى :

— ١ —

قال الأستاذ استانبولى : « وقد رايت أن ابحث هـذا الموضوع الخطير لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد **لم يكن مجتهدا** ، انما كان متبعـا لنصوص الشريعــة » .

وانى أقول : ان البحث الموضوعى قد اثبت بما لا يدع مجالا لأية محـالفه أن عمر بن الخطاب كان اكبر مجتهد فى تاريخ التشريع الاسلامى ، بأوســع ما تحمله كلمة (الاجتهاد) من معنى ومضمون . وسـوف تبدو هذه الحقيقـة واضحة فى مناقشتى للأمثلة الثلاثة التى ساقها كاتب المقال . بل اننى لأذهب الى القول بأن البحث الموضوعى قد اثبت أن عمر لم يكن مجتهدا فحسب ، بل كان ذا منهج عبقرى متميز فى الاجتهاد ، تمثل فى خطة عقلية كان يصدر عنها فى مجال تطبيقه لنصوص التشريع ، مما لا يتسع المجال هنا لتفصيله .

ثم ، هل هناك تعارض بين ان يكون عمر — او غيره — مجتهدا ، وبين ان يكون متبعا لنصوص الشريعة فى الوقت نفسه (كما تدل على ذلك الفقرة التى تنفى عن عمر صفة الاجتهاد لتثبت له صفة اتباع النصوص) ؟ اننا لنذهب الى القول — ومعنا عشرات من الائمة والمجتهدين والفقهاء — الى ان ضرورة اتباع نصوص الشريعة نفسها تتطلب فى كثير من الأحيان فكرة الاجتهاد — بطرقه المتعددة — فى هذه النصوص وحولها . وتبدو هذه القضية أيضا واضحة فى مناقشتى للأمثلة التى سيقت فى المقال المذكور .

— ٢ —

ثم يقول كاتب المقال : ان عمر بن الخطاب اخطأ فهم المقصود بقوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) فضيق هذا المقصود حيث حصرهم فيمن وجد منهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون من وجد بعده . مع ان الآية تتسع لمن وجد منهم فى كل عصر . فمضمون هذا السهم أوسع فى الحقيقة من فهم عمر فيه . ولأن عمر اخطأ فى هذا الفهم (فلا يجوز أن يتخذ فعل عمر هذا مثالا للمنهاج الفقهى الواقعى) !

ونحن لا نعطى عمر — او غيره من الصحابة او المجتهدين — صفة العصمة عن الخطأ فى اجتهاده . لأنه أولا: بشر ، يجوز عليه فى نهاية الأمر ما يجوز على سائر البشر من الخطأ والنسيان والجهل ببعض الأمور . وثانيا : لأنه لم يعط نفسه ، او اجتهاده ، هذه الصفة . فقد كتب احد كتابه فى احدى مسائل اجتهاده : هذا ما راى الله وراى عمر . فقال له عمر : بئسما قلت! قل : هذا ما راى عمر ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمن عمر (١) . وقال عمر ايضا : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الراى (اى احتمال الخطأ فيه بحكم انه راى) سنة للأمة (٢) . وقال مرة على المنبر : ايها الناس ، ان الراى انما كان من رسول الله مصيبا ، ان الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف (٣) . وقد كان من خطة عمر ومنهجه فى اجتهاده الا يجعل نتيجة اجتهاده — هو او غيره من الناس — نصا تشريعيا ملزما لا احتمال فيه لخطأ او اعادة نظر (٤) .

لا نعطى عمر اذن صفة العصمة عن الخطأ فى الفهم والاجتهاد بصفة عامة ، ولكننا مع ذلك نقول : ان عمر فهم موضوع المؤلفة قلوبهم الفهم الصحيح الذى كان فيه ذلك العبقرى الملهم الذى لم يفر احد فريه ، والذى كان الحق يدور معه حيث دار ، كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

الفهم مشترك

وقد شارك عمر فى هذا الفهم ابو بكر الصديق وباقى الصحابة وهذه الموافقة موافقة يمكن اعتبارها نوعا من (الاجماع السكوتى) الذى لم نعلم أحدا

---

(١) اعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٦٤ وابطال القياس والرأى لابن حزم ص ٥٨ .

(٢) اعلام الموقعين جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) المرجعين السابقين .

(٤) انظر : منهج عمر بن الخطاب فى التشريع (دراسة مطولة حصل بها كاتب هذه السطور على درجة الماجستير فى الشريعة الاسلامية من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز سنة ١٩٦٦م ص ٣٦٢ — ٣٦٤ .

(٥) انظر الصحيحين ، وسائر كتب السنة فى باب فضائل الصحابة .

خالفه . فقد أعطى رسول الله المؤلفة قلوبهم . وجاء الى أبى بكر فى خلافته رجلان ممن كان يعطيهم الرسول تأليفا لقلوبهم ، وطلبا منه أن يعطيهما أرضا قائلين له : ان عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فان رأيت أن تعطيها ايانا . . فكتب لهما كتابا بذلك — وليس فى القوم عمر — فانطلقا اليه ، ليشهد لهما ، فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله منهما ، وتفل فيه فمحاه ، ثم قال لهما : ان رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل ، وان الله قد أغنى الاسلام واعزه اليوم ، فاذهبا فاجهدا جهدكما كسائر المسلمين ، فالحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . فرجعا الى أبى بكر متذمرين ، وقالا مقالة سيئة ، فوافق أبو بكر عمر على ما فعله ، ورجع الى رايه ، فقالا له : الخليفة أنت أم عمر ؟! فقال أبو بكر : هو ، ان شاء (١) .

وقد استمر عمر على منعه سهم المؤلفة قلوبهم — الثابت بنص القرآن — فى خلافته هو بعد وفاة أبى بكر . ويقول الجصاص (المتوفى سنة ٣٧٠هـ) « فترك أبى بكر الصديق النكير على عمر فيما فعله ، بعد امضائه الحكم ، دليل على أنه عرف مذهب عمر حين نبهه اليه » (٢) : ويقول كمال الدين ابن الهمام (المتوفى سنة ٨٦١هـ) : « فلم ينكر أحد من الصحابة على عمر ، مع ما يتبادر منه الى كونه سببا لاثارة الثائرة ، أو ارتداد (٣) بعض المسلمين ، فلولا اتفاق عقائدهم على حقيقته لبادروا الى انكاره » (٤) .

لم ينفرد عمر اذن برايه فى المؤلفة قلوبهم ، بل وافقه عليه أبو بكر الصديق ، وباقى الصحابة دون مخالف ، مما يمثل نوعا من (الاجماع السكوتى) الذى يعتبره بعض العلماء مصدرا تشريعيا لا يحتمل الخطأ . لكنا لن نسلك هذا الطريق فى محاولة اثبات أن فهم عمر فى المؤلفة قلوبهم هو الفهم الصحيح . وانما أردنا فحسب أن ننبه الى أن صفة الخطأ فى الفهم يجب الا تسند لعمر وحده ، بل لأبى بكر الصديق أيضا وباقى الصحابة الذين لم يخالفوه فى فهمه . فما هو هذا الفهم الذى نذهب الى أنه هو — وحده — الفهم الصحيح الصادق لنص القرآن ؟

لا يوجد مؤلفة

مما لا شك فيه أن سهم المؤلفة الثابت بنص القرآن لا يستطيع عمر — أو غيره من الناس — الغاءه أو نسخه — الا أن عمر مع هذا أوقف العمل به فى خلافة أبى بكر وخلافته هو ، وذلك لسبب بسيط جدا هو أنه لم يكن فى عصرهما مؤلفة حتى يعطون هذا السهم ، لأن نصوص السنة التى جاءت مفسرة للقرآن تدل بوضوح على أن الحكم بوجود مؤلفة أو عدم وجودهم فى أى مجتمع اسلامى مرهون بوضع الجماعة الاسلامية ، فان احتاجوا الى تأليف القلوب فحينئذ يوجد المؤلفة ، ويستحقون نصيبهم المفروض فى القرآن ، وان لم يحتج المسلمون

(١) انظر : فتح القدير لابن الهمام جـ ٢ ص ١٥ وأحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ١٥٢ — ١٥٤ وتاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٢٧٥ مع اختلاف يسير فى الرواية لا يمس مضمونها الفقهى .
(٢) احكام القرآن جـ ٣ ص ١٥٢ .
(٣) لثبوت سهم المؤلفة بنص القرآن الكريم ، انظر سورة التوبة آية ٦٠ .
(٤) فتح القدير جـ ٢ ص ١٤ — ١٥ .

الى تأليف القلوب فكيف يوجد (المؤلفة) اذن ؟ وكما يدل كلام عمر السابق فى منعه اعطاء الأرض — فان الاسلام فى خلافة ابى بكر وبعدها كان عزيز الجانب ، وكان يحقق انتصارات متوالية يرث بها الامبراطوريتين الفارسية والرومانية . فكيف يحتاج عندئذ الى تأليف قلوب بعض الأعراب ؟

ومن ثم فانه لم توجد فى هذا العصر حاجة بالمسلمين الى تأليف القلوب ، فلم يوجد من يطلق عليه وصف (المؤلفة قلوبهم) ، وبذلك توقف الاعطاء بهذا السهم ، حتى يحتاج المسلمون الى تأليف القلوب . فيوجد المؤلفة عندئذ ، فيعطون بهذا السهم .

وفى كلمة واحدة ، كان وجود (مؤلفة) أو عدم وجودهم مرهونا بوضع الجماعة الاسلامية ، وليس مرهونا بمجرد وجود عدد من الناس يطلبون العطاء بهذا السهم ، دون أن يحتاج المسلمون الى تأليف قلوبهم .

وكما يقول الجصاص فان سهم المؤلفة قلوبهم مقصور على الحال التى يكون عليها أهل الاسلام من قلة العدد . وكثرة الكفار ، واحتياج المسلمين عندئذ الى التأليف . وكما يقول ابن الهمام : فعدم الدفع للمؤلفة فى خلافة أبى بكر وعمر تقرير لما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نسخ له ، لأن الواجب هو اعزاز الدين ، وكان بالدفع فى عهد الرسول ، وقد اصبح بعدم الدفع فى حال عزة المسلمين .

لا خطأ ولا ابطال

لم ينسخ عمر والصحابة اذن نص الآية ، ولم يبطلوا العمل بها ، كما انهم لم يخطئوا فهمها ، ولم يخصصوه ببعض مفهومه ، حيث لم يذهب عمر — أو غيره من الصحابة — الى وقف العمل بهذا السهم الى الأبد ، انما كانوا ينظرون الى ظروف عصرهم فحسب . ولم يقل واحد منهم مطلقا — وما كان له ان يقول — ان هذا السهم اوقف بعد وفاة رسول الله حتى نهاية العالم . ويبدو الفارق بين الحالين واضحا حين يحتاج المسلمون بعد ذلك الى تأليف القلوب ، وقد حدث هذا بالفعل فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، حين تألف قلب البطريق واعطاه الف دينار ، لحاجة المسلمين ومصلحتهم عندئذ ، وعملا بالآية والسنة (١) .

فالأمر فى المؤلفة قلوبهم « ماض أبدا » كما يقول ابو عبيد القاسم (٢) ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ) وان كان الحكم بوجودهم أو عدم وجودهم يرجع الى التقدير الحكيم لولى امر المسلمين فى كل عصر . ويوافقه فى هذا أبو جعفر الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) والشوكانى (المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ) وغيرهم (٣) . وقد كان هذا ايضا من قبل رأى أبى حنيفة والشافعى (٤) وغيرهما من كبار الأئمة ، الذين فهموا رأى عمر ووافقوه ، كما وافقه الصحابة.

---

(١) انظر كتاب : الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٢٥٨ .

(٢) الاموال ص ٦٠٧ .

(٣) انظر : جامع البيان جـ ١٠ ص ١٠٠ ونيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٣٤ .

(٤) انظر مثلا : بداية المجتهد لابن رشد جـ ١ ص ٢٥١ .

والأمر فى المؤلفة قلوبهم فى خلافة ابى بكر وعمر يشابه الأمر باعطاء سهم للفقراء أو الغارمين فى نفس الآية . فاذا لم يوجد فى مجتمع ما من ينطبق عليه وصف (الفقراء) أو (الغارمين) فحينئذ يوقف العمل بهذين السهمين دون أن يكون هذا الايقاف نسخا للنص او خطأ فى فهمه ؛ حتى يوجد من ينطبق عليه احد الوصفين .

ثم ، اليس هناك تناقض واضح بين ان يقول الأستاذ استانبولى فى أول مقاله انه يبحث هذا الموضوع الخطير ليثبت للملأ أن عمر لم يكن مجتهدا ، ثم يقول بعد ذلك فى آخر مسألة المؤلفة قلوبهم : ان عمر (اجتهد فيها) فأخطأ الفهم المقصود من النص فيها ، فله أجر الاجتهاد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا أصاب الحاكم فله اجران ، وان اخطأ فله أجر) ؟!!

— ٣ —

فى حد السرقة

وفى المثال الثانى الذى يسوقه الأستاذ استانبولى يقول ان عمر فى وقفه تنفيذ حد السرقة فى عـام المجاعة لم يكن مجتهدا (فانه لا اجتهـاد فى مورد النص ؛ انما هو اتباع لنص قوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقوله سبحـانه (فمن اضطر فى مخمصة غير متجـانف لاثم فان الله غفور رحيم) .

وبصرف النظر عن أنه جعل عمر بن الخطـاب « يجتهد » فى نص قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) ويخطىء — فان جملة (لا اجتهاد فى مورد النص) — وهى احدى مقررات أصول التشريع الاسلامى — انما تقال وتصدق حين يكون النص — بالنظر الى الواقعة التى يطبق فيها — واضحا كل الوضوح لا يحتاج الى أى فكر او تأمل ، فلا يحتاج الا الى مجرد التطبيق ، وذلك مثل قوله تعالى : (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) (١) أما اذا احتاج النص — بالنظر الى الواقعة التى يطبق فيها — الى نظر وتأمل ، فحين ذلك يجب الاجتهاد فى تفهم معانيه ومقاصده . وكمثال على ذلك — من آيات المواريث أيضا — فان قوله تعالى فى نفس الآية السابقة : (وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) واضح انه فى ميراث الاخـوة لأم ، كما أن قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا أخوة رجالا ونسـاء فللذكر مثل حظ الانثيين) (٢) . واضـح أنه فى ميراث الأخوة الأشـقاء ، أو لأب . فميراث الاخوة جميعا ثبت بالنص القرآنى . هذا صحيح ؛ لكن كيف نورثهم مثلا لو وجد الأخوة الأشقاء مع الاخوة لأم فى مسألة مثل (المشتركة) ؟

وتنشأ صورتها اذا توفيت امراة وتركت زوجها ، وأمها واخوتها لأمها ، واخوتها لأبيها وأمها . وقد حدثت هذه المسألة فعلا فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان ميراث الأخوة فيها ، مع وجود نص القرآن عليه فى آيتين — مجالا لاجتهاد كبير بين الصحابة . انقسموا فيه الى قسمين بين تشريك الأخوة الأشـقاء مع

---

(١) سورة النساء ١٢ .

(٢) سورة النساء ١٧٦ .

الأخوة لأم فى الثلث بعد نصيب الزوج والأم او عدم تشريكهم (١) بل ان عمر ابن الخطاب راجع فيها نفسه بعد عام كامل ، فرجع عن اجتهاده فيها الى غيره ، مع عدم قطعه بالصحة المطلقة — التى لا تحتمل أى مراجعة أو تعديل — لاجتهاده الأخير ، ومن ثم فانه لم يلغ العمل باجتهاده الأول حيث قال : تلك على ماقضينا ، وهذه على ما نقضى (٢) .

اذن فالقول بأنه (لا اجتهاد فى مورد النص) ليس على اطلاقه ، انما له مقيدات خاصة يعرفها الأصوليون والفقهاء . وكنا نحسب من قبل أن هذه حقيقة من بديهيات التشريع الاسلامى لا تخفى على الكاتب ولا على الذين يرددون هذا القول . .

ثم ان النص القرآنى فى قطع يد السارق من النصوص التى تحتاج لاجتهاد كبير عند تطبيقها فى مسائل واقعية كثيرة . ومن ثم يقول فيه القرطبى (المتوفى سنة ٦٧١ هـ) بحق : (وظاهر الآية يقتضى العموم فى كل سارق ، وليس كذلك . .) ثم يأتى بالاخبار التى خصصت عموم الآية وبينت المراد منها ، وكل خبر منها يحتاج تطبيقه هو الآخر الى اجتهاد كثير لفهمه ، والتعرف على مدى تحقق مضمونه — أو عدم تحققه — فى السراق الذين تبحث حالتهم (٣) .
والنصان اللذان أوردهما الأستاذ استانبولى بعد جملة (لا اجتهاد فى مورد النص) يحتاجان — فى الموطن الذى يستدل بهما فيه — الى اجتهاد ليصبح كل منهما دليلا فيه . وذلك أنه يستشهد بقوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقول : (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) على أن سقوط الحد عن السارق المضطر عام المجاعة ثابت بحرفية النص فلا يحتاج الى اجتهاد ، ولهذا لم يكن عمر فى هذا التشريع مجتهدا .

ولست أوافقه على الاطلاق فى هذا ، لأن الآيتين لم تردا فى السارق مضطرا كان أو غير مضطر . انما وردتا فى المضطر الى اكل ما لا يحل من الأطعمة المحرمة فى أصل تشريعها . حيث نجد فى سورة المائدة قوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب . الى أن قال : فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) (٤) كما نجد فى سورة البقرة : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) (٥) ونجد فى سورة الأنعام : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر

---

(١) انظر مثلا : احكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ١١١ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٢٨٩ وتفسير القرطبى جـ ٥ ص ٧٩ .

(٢) احكام القرآن جـ ٢ ص ١١١ واعلام الموقعين جـ ١ ص ١٣١ وراجع فى نظرة عمر لنتيجة اجتهاده هذا : اعلام الموقعين جـ ١ ص ٧٤ .

(٣) انظر : تفسير القرطبى جـ ٦ ص ١٦٠ — ١٧٣ .

(٤) آيـة ٣ .

(٥) آيـة ١٧٣ .

غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم)(١) ونجد فى سورة النحل : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم)(٢) ، وهذه الآيات الأربع كلها تأتى فى سياق ما يحل وما يحرم من الطعام(٣) . فلا تحتوى بأصل معانيها أى تشريع له صلة مباشرة بالسرقة ، انما هى تحتوى اباحة الأقدام على تناول بعض الطعام المحرم لضرورة حفظ الحياة ، حين ينعدم وجود ما أحله الله من الطعام من غير الميتة وما شابهها ، ومن ثم لا يقال فيها ابدا ان عمر أوقف تنفيذ حد السرقة عام المجاعة اتباعا لحرفيتها دون أى اجتهاد . هذا كله مع اتفاقى على أن هذه الآيات كان لها شأن فى تشريع عمر هذا . لكن هذا الشأن هو (القياس) الذى هو ابرز طرق الاجتهاد فى التشريع الاسلامى .

فلا بد من اتباع القياس العقلى لنصل من هذه الآيات الى اسقاط الحد عن السارق المضطر حيث نقول : أباح الله الميتة — المحرمة فى اصلها — للمضطر ، حفظا لحياته ، ومن ثم يقاس عليها كل طعام حرام فى أصله ، فيحل للمضطر ، بجامع أن الاضطرار يبيح الحرام ، ومتى أبيح للانسان أن يسرق ما يحفظ عليه حياته فقد سقط عنه حد السرقة .

هذا هو التكييف الفقهى للاستشهاد بهذه الآيات هنا . وعليه فلا يسقط الحد عن كل سارق باطلاق عام المجاعة ، فلا يسقط على من يجد مع المجاعة ما يحفظ عليه حياته وحياة من يعولهم ، وأيضا لا يسقط الا عن من يسرق قدر ما يحفظ هذه الحياة ، دون من يستغل هذا التشريع لبث الفوضى وانتهاب أموال الناس ، بغية الغنى والثراء وتكديس المال الحرام ، لا دفع الجوع والموت . وكل هذا قياسا على ما جاء فى اباحة الميتة من قوله تعالى : (غير باغ ولا عاد) ، أى غير مجاوز قدر الضرورة والحاجة ، كما فسر .

فنحن نوافق كاتب المقال على أن عمر استند الى هذه الآيات فى ايقافه حد السرقة عام المجاعة ، لكننا نخالفه تماما فى قوله : ان هذا كان عملا منه بحرفية النصوص ، وليس فيه أى اجتهاد . لأننا نرى أن هذا كان منه اجتهادا طريقه القياس العقلى .

ويرى هذا الرأى أيضا كثير من الفقهاء والدارسين منهم ابن القيم (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) الذى ينقل عنه كاتب المقال بعض آرائه . حيث يقول ابن القيم — بعد أن يروى تشريع عمر هذا ، وموافقة العلماء له فيه : (وهذا محض قياس ، ومقتضى قواعد الشرع ، فان السنة اذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه الى ما يسد به رمقه)(٤) . والى جانب هذا القياس الذى استند اليه عمر فان اضطرار

---

(١) آية ١٤٥ .
(٢) آية ١١٥ .
(٣) انظر الآيات المجاورة لها فى السور الأربع .
(٤) اعلام الموقعين : جـ ٣ ص ٢٣ .

السارق فى المجاعة ؛ مع وجوب بذل ما يحفظ عليه حياته على كل من يملك ما يفيض عن حاجته — وقد دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة — قد أوجد للسارق شبهة قوية فى المال المسروق تدفع عنه الحد ، « لا سيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه . وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم ، والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه ، فدرىء)(١) .

والى جانب هذين الاعتبارين : القياس على النص ، ودرء الحدود بالشبهات ، فاننا نجد فى بعض الروايات خبرا يروى عن النبى يدل بحرفيته — دون أى اجتهاد — على اسقاط الحد عن السارق فى المجاعة ، حيث يروى السرخسى (المتوفى سنة ٤٩٠ هـ) عن مكحول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا قطع فى مجاعة مضطر)(٢) . وهذا الخبر — وحده — هو الذى يصلح نصا حرفيا اتبعه عمر دون أى اجتهاد لاسقاط الحد عن السارق . وعلى اية حال ليس هناك ما يمنع من مؤازرة النص بالقياس أو غيره من القواعد التشريعية المعتبرة التى تكفى وحدها حتى عند عدم وجود النص الحرفى .

— ٤ —

ثم ينقل الأستاذ استانبولى عن ابن القيم أن الامام مخير فى الأرض المفتوحة عنوة بين قسمها أو وقفها — وهذا حق — ثم يقول : (فيكون عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — اختار فى أراضى العراق ما فعله الرسول فى مكة) — وهذا ايضا حق — لكن ، الا نرى بوضوح أن هذا الاختيار فى حد ذاته يحتاج الى نوع من الاجتهاد فى التعرف على ما يحقق المصلحة فى عهده ؟ والا فلم لم يختر عمر أن يقسمها كما قسم رسول الله أرض بنى قريظة وشطر خيبر ؟

والجواب هو أن مثل هذه القسمة لم تكن لتؤدى الى مصلحة عامة للمسلمين فى عهده ، كما صرح بذلك فى قوله لمخالفيه : (اذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره ؟ وقوله : (أرايتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . ارايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ (٣) .

---

(١) المرجع السابق . وابن القيم يشير بهذا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ادرأوا الحدود بالشبهات) وهى قاعدة تشريعية متفق عليها .

(٢) المبسوط جـ ٩ ص ١٤٠ .

(٣) انظر الخراج لأبى يوسف ص ١٤ — ١٥ ونلاحظ أن عمر يقول عن اختياره هنا : (هذا رأى) ويقول عن فكرة تقسيم الأرض التى أشار بها مخالفوه أولا : (ما هذا برأى) أى لا يحقق المصلحة العامة . والتعبير بالرأى يدل على أن المسألة مجال للاجتهاد والرأى ، وقد وافق الصحابة جميعا فى النهاية على رأى عمر .

والأستاذ استانبولى نفسه يقول فى نهاية مقاله عن عمر بن الخطاب : (وقد كان اجتهاده ينحصر فى تقديم نص على آخر راى فيه مصلحة للمسلمين) ولا اجد مفرا ايضا من أن اقارن بين هذا القول وبين قوله فى اول مقاله : (وقد رايت ان ابحث هذا الموضوع الخطير لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد لم يكن مجتهدا) أما فى آخر مقاله فقد أثبت له انه كان « مجتهدا » وكان (ذا رأى) وكان رأيه هذا يحقق (مصلحة) للمسلمين فى عهده .

ولست ادرى لم يحاول كاتب المقال — فى بعض كلامه — أن ينفى عن عمر صفة الاجتهاد ، مع أنه ينقل عن رسول الله انه شرع الاجتهاد ، واخبر أن المجتهد دائر فيه بين الأجر والأجرين ؟ أما قوله — حين يثبت وصف الاجتهاد لعمر — ان اجتهاده كان فى فهم النص لا فى تركه فنحن نقول فيه : ان كل ما يستحق وصف (الاجتهاد) فى التشريع الاسلامى انما هو الذى يدور فى دائرة فهم النص الخاص أو النصوص العامة . اما التارك للنص فلا يعد مجتهدا ، بل لا يعد مسلما ان استباح تركه عمدا .

... اريد أن أصل من ذلك كله الى أن عمر بن الخطاب لم يكن مجتهدا فحسب ، انما كان أكبر مجتهد اسلامى بأوسع ما تحمله هذه العبارات من مضمون . وقد أثبت فى دراستى[1] عنه التى استقصت كل مسائله وتشريعاته انه كان عبقريا فى اجتهاده ، لم ير أحد من الناس يفرى فريه كما قال عنه رسول الله . وقد وصل بى البحث الموضوعى الى أنه — مع اجتهاداته الكثيرة العظيمة — لم يخالف نصا واحدا من نصوص التشريع الاسلامى ، وانه — فى بحثه عن علل النصوص وغاياتها فى بعض مراحل اجتهاده — انما كان يفعل ذلك بغية تطبيق النص تطبيقا صحيحا ، لا بغية تركه ، وانه كان يصدر فى بحثه العميق الدقيق فى النصوص عن يقين ، ثبتت صحته ، بأنه حين تفهم النصوص — مضافة الى ظروف تطبيقها فى أى زمان ومكان — فهما صحيحا ، فان تطبيقها على ضوء هذا الفهم ، لا بد أن يؤدى الى تحقيق مصالح الناس فى أى عصر .

وفى النهاية ، لماذا نحاول اغفال فكرة (الاجتهاد) وقد أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فيما ليس فيه قرآن ولم تمض فيه منه سنة ، وذلك فى حديث معاذ بن جبل ، ذلك الحديث المشهور ، الذى يرويه ابن القيم[2] وغيره ممن ينقل عنهم الأستاذ استانبولى بعض نصوصهم ؟.

---

(١) وقد سبقت الاشارة اليها .

(٢) راجع : اعلام الموقعين جـ ١ ص ٧٠ ، ٧٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٤٣ وحديث الاجتهاد أخرجه ابو داود والترمذى والدارمى وغيرهم وقال فيه الغزالى : (تلقته الأمة بالقبول ، ولم يظهر أحد فيه طعنا أو انكارا) انظر : المستصفى جـ ٢ ص ٢٥٤ .

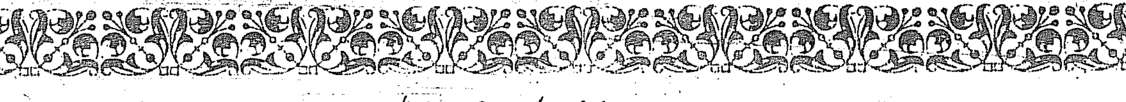
من مزامير التوبة

الضمير الهارب

للأستاذ: محمود حسن اسماعيل

وقفت طويلا على سـدتك　　انادى ربى النور فى سدرتك
كأنى سـبابة أومأت　　بقلب المصلى الى كعبتك
انادى ، وأجـار فى حومـة　　من الصمت تهدر فى حضرتك
وانشق ذاتين .. ذاتا تنوح　　واخرى تسبح من خشيتك
وكلتاهما من رياح الضمير　　صدى ذائب فى صدى موجتك
تصيحان من غير ذكر ، ولا　　صلاة تؤوب فى خيمتك ..
أجرنى يا رب ، من كل شىء　　يسد طريقى الى ومضتك ..
من الليل ، يسحق فيه الظلام　　خطاى الضريرات عن نظرتك
من النور ، يفضح سر الطريق　　اذا جئت أشرب من كرمتك
من الفجر ، يفهق منه الضياء　　فيغرق دنياى فى هالتك
من الخطو ، يوغل طى الدروب　　وينسى اتجاهى الى ساحتك
من الشدو ، أعصره للجمال　　وانساب هيمان فى نشوتك
من الحب ، تصهرنى ناره　　رمادا شقيا على ضفتك
من القلق السابح المستطير　　على زورق ذاب فى لجتك
من الطهر ، يغرف منى العبير　　عذابا يضوع لدى جنتك
من الاثم ، طير شجى المثاب　　يغنى ، ويندس فى رحمتك
من النفس ، تورق عند الدعاء　　ويقطفها العقل من ساحتك
من العقل ، يحمل نعش الضمير　　ويهرب خزيان من سكتك
من الناس ، ما أنا فيهم سوى　　رؤى عابد ضل عن آيتك ..
أجرنى !! فما زلت فى كل شىء　　صدى كبلته كوى لمحتك
وما زال وجهى خلف الضباب　　هوى يستشف سنا راحتك
يمد اليك انعتاق الضمير　　فيرتد خزيان عن رؤيتك
ويدعوك ، وهو كفيف الندامة　　حيران ، يصرخ من وهلتك
أجرنى ! فما لى يد فى الذى　　سقانى لظى التيه فى طاعتك !!

القيم العليا للفكر الإسلامي



للأستاذ: أنور الجندي

ماذا يمكن ان يعطى جوهر الفكر الاسلامى العرب والمسلمين ، وماذا يمكن ان يعطى البشرية والفكر الانسانى العالمى ؟

الواقع ان هذا الفكر قد اعطى وما يزال يعطى الفكر الانسانى مزيدا من الخير والحق .

ففى المجال الانسانى ، مجال حقوق الانسان ، يبدو الفكر العربى الاسلامى مصدرا غزير المنابع للمساواة وحرية العبادة ، حيث لا فضل لعربى على اعجمى ، ولا أبيض على اسود والناس سواسية كأسنان المشط ، ويكاد يكون مصدر حقوق الانسان واضحا فى كلمة عمر بن الخطاب .

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

وفى مجال العدل والرحمة :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قيل يا رسول الله ، نعرف كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال ترده عن الظلم » .

وفى الحرب . احترام للوعود والعهود ، ولا تستخدم القوة الا لرفع ظلم ، وحماية كاملة للطفل والشيخ والعباد العاكفين فى الصوامع .

ولقد كان للعلم فى مجال الفكر الاسلامى مقام خطير .

« فلا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتصرفوا به وجوه الناس ، وهو دعوة عامة . كن عالما أو متعلما أو مستمعا واياك والرابعة فتهلك » . والرابعة هى ادعاء العلم .

وابرز مفاهيم العلم فى الفكر الاسلامى العربى المطابقة بين الكلمة والسلوك .

ولقد اهتز القاضى المجاهد « اسد بن الفرات » لفضل العلم عندما خرج على رأس الجيش الزاحف الى صقلية وهاله ما راى من كثرة المودعين له من العلماء والوجوه ورجال الدولة وعامة الناس ، وقد صهلت الخيل وضربت الطبول ونشرت البنود ، فقال : والله يا معشر الناس ما ولى لى اب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفى مثل هذا قط . وما رأيت ما ترون الا بالاقلام ، فأجهدوا

انفسكم واتعبوا أبدانكم فى طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة .

وقد ظلت مزية الفكر العربى الاسلامى هى القدرة على الجمع بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، وبين الدين والعلم . وهو ما تتطلع اليه الانسانية الآن حيث يقول دعاة المذهب الانسانى : إن تطور الانسان يجب أن يمتد فى أبعاد ثلاثة فى وقت واحد هى : الابعاد المادية والثقافية والاخلاقية ، ويقول جوستاف لوبون : اننا مسيرون بثلاث حقائق هى الحقائق العاطفية والحقائق الدينية والحقائق العقلية .

وقد وصل « برجسون » الى أن الذهن البشرى وحده لا يستطيع فهم حقائق الحياة .

ويبدو جوهر الفكر الاسلامى حول بناء انسان ممتاز ، ويدعو الى التحرر من استهلاك طاقاته الجسدية والمادية ، على أساس من القصد لا الاسراف . وتتمثل انسانيته فى التعالى عن الصغائر ، فالفكر الاسلامى يعمل على التكوين الفردى الانسانى التقدمى ، فالغنى غنى النفس ، وذو البأس تعرف قدرته فى مواقع اللقاء ، وذو الامانة يعرف عند الاخذ والعطاء ، والاخوة تعرف عند النوائب ، ولكل اجر جزاء ، ومن يحصل على الاجر يعمل بضمير ، والزكاة ليست صدقة ، والعمل شرف ، والعلم من المهد الى اللحد ، والعمل للدنيا والآخرة ، والناس تتكافأ دماؤهم وأموالهم ، والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص .

وقد كان للفكر الاسلامى آثاره الواضحة العميقة فى النهضة الاوروبية مرتين .. الاولى : فى ثورة الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر بقيادة مارتن لوثر وكلفن ، وكانت آراء — ابن رشد قد خلقت مدرسة ضخمة لها فى قلب أوربا ، فلم يلبث أن نادى (كلفن) بما ينادى به الفكر الاسلامى العربى فقال « ان الصلة بين الانسان والله هى السبيل الوحيد للغفران ، وأن لا قوة الا بالله ، وليس لرأى بشرى حرمة التقديس » .

والثانية : فى نقل الغرب للفكر العربى الاسلامى فى مجال العلم ، وقد بدا فضل المسلمين واضحا على الادب والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطبيعة والكيمياء والطب والموسيقى والفنون والصناعة والزخرفة والعمارة ونحن لم نكن عالة على اليونان ، وكان استمدادنا من منبعين اساسيين : القرآن الكريم وكلمات محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى مجال استقلالية الفكر العربى الاسلامى ، يبدو اعلامنا وقد خالفوا آراء ارسطو وافلاطون فى كثير من النظريات فلم يتقيدوا بها ، بل أخذوا منها ما يتفق مع (روح الاسلام) وقال ابن سينا إن الفلاسفة يصيبون ويخطئون كسائر الناس .

وقد رفض المسلمون الخرافات الوثنية وتعدد الاله وطابع الاباحة فى الفكر اليونانى .

ودعا (جابر بن حيان) الى اجراء « التجربة » وقال ان واجب المشتغل فى الكيمياء هو العمل واجراء التجربة ، وان المعرفة لا تحصل الا بها .

وفى هذا يقول جوستاف لوبون عن هميرلد : ان القاعدة عند العرب المسلمين هى « جرب وشاهد ولاحظ » تكن عارفا .

وقد كان المسلمون اكثر دقة فى هذا المجال الى درجة حملتهم على التعالى عن أخذ آراء الغير ونسبتها الى انفسهم ، قال ابن الهيثم : ان وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه لنفسك واكتف باستفادتك منه ، ويقول ابن حزم « ما

مذهبى ان انضى مطية سواى » وعنده ان « التقليد حرام ، وانه لا يحل لأحد ان يأخذ بقول احد من غير برهان » .

وقد سبق المعرى دانتى الى كتابة الكوميديا الالهية بكتابه المعروف « رسالة الغفران » وقد أخذ دانتى مادة الكوميديا التى كتبها أساسا من جوهر الفكر الاسلامى .

وزين العابدين الآمدى (٧١٢ هـ) هو أول من ابتكر الكتابة البارزة للعميان .

ونظرية « التطور » قال بها اخوان الصفا فى رسائلهم ، وذكرها ابن مسكويه فى كتبه ، قبل داروين ، وقد وردت كلمة « التطور » بمفهومها فى الطبقات الكبرى للسبكى ومقدمة ابن خلدون من غير ان يذهبوا مذهب داروين فى أصل الانسان .

وطريقة البحث العلمى المنهجى ، وضع أصولها ابن الهيثم وابن رشد وابن حزم والجاحظ ، قبل أن يقول بها فرنسيس باكون فى القرن السادس عشر .

كما سبق ابن الهيثم « بيكون » فى الطريقة « الاستقرائية » وسما عليه ، وكان أوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا فقد جمع ابن الهيثم بين الاستقراء والقياس ، وقدم الاستقراء على القياس ، وحدد الشرط الاساسى فى البحث العلمى وهو « طلب الحقيقة » دون أن يكون لرأى سابق أو نزعة من عاطفة أيا كانت دخل فى الامر (راجع تراث العرب العلمى لقدرى طوقان) .

وقد وضع علماء المسلمين أساس النظريات الاقتصادية ، فظهر كتاب (الخراج) ليحيى بن آدم القرشى ٢٠٣ هـ وكتاب (الاكتساب فى الرزق المستطاب) للامام الشيبانى ٢٣٤ هـ وكتاب الخراج لأحمد حنبل فمقدمة ابن خلدون .

وابن حزم دافع عن كروية الارض بالعقل والدين ، وسبق (كانت) فى نظرية (المعرفة) بسبعة قرون والفارابى فكر فى (أمم متحدة) منذ قرون ، وعنده ان الدين والفلسفة لا يتناقضان ، وابن رشد دعا الى مشاركة المرأة الرجل فى خدمة المجتمع والدولة .

ويرى الفارابى : أن السعادة ممكنة على وجه الارض اذا تعاون المجتمع على نيلها بالاعمال الفاضلة ، وابن ماجد هو الذى قاد (فاسكودى جاما) فى طوافه حول الارض .

واخذ (دافيد هيوم) نظرية « الغزالى » فى أن الامور تتم بارادة الله لا بالاسباب الظاهرة وفى علوم الطب سجل (الكرك) ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية الى اللاتينية ، وقال : ما عرفت أوربا المدنية الا بعد أن مرت على لسان اتباع محمد .

وما تزال قواميس اللغات الاوروبية تعج بالكلمات العربية سواء ما يتعلق منها بالحاجات اليومية أو الاطعمة أو الالبسة أو العقاقير ، وكذلك الامر فيما يتعلق بالملاحة .

واشار جورج سارطون الى فضل المسلمين على العلم فقال : انهم لم ينسخوا من المصادر اليونانية أو السنسكرتية (الهندية) ولكنهم جمعوا بين المصدرين ثم لقحوا الآراء ، وهذا هو الابتكار ، فالابتكار هو جياكة الخيوط المتفرقة فى نسيج واحد . وقد اكد العلماء بأن المسلمين هم مبدعو « التجربة » بالمعنى الدقيق للكلمة ، وأول من جعل من الوقائع المعزولة عن متنها نقطة الانطلاق لكل بحث .

وقد تأكد أن الغزالى فى دراسته للدولة أو المدينة يعقد المقارنة بينها وبين جسم الانسان ، ويرى الباحثون أن الغزالى فى ذلك أسبق من الفيلسوف هربرت سبنسر الذى عمد الى نفس المقارنة ، فالغزالى يشبه الملك بالقلب ، واصحاب المهن الحرة بأعضاء الجسم والشرطة بعصب الانسان ، والوزراء بحس الادراك والقضاء بالشعور .

ومصدر الفكر الاسلامى يلتمس اساسا من القرآن الكريم كتاب الاسلام والعربية ، وليس أدل على اثر القرآن فى الفكر والثقافة العربية من كلمة جورجى زيدان فى كتابه آداب اللغة العربية يقول :

« وتأثير القرآن فى أخلاق أهله ومعاملاتهم اليومية والبيئية لا يخلو من التأثير فى عقولهم وقرائحهم وآرائهم فالصيغة القرآنية أو الاسلامية تظهر فى مؤلفات المسلمين ، ولو الفوا فى الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية والطبيعية ، فضلا عن العلوم الاسلامية والشرعية والادب .

والقرآن اشد تأثيرا فى المسلمين من سواه لأنهم مكلفون بحفظه قبل كل علم ، وهو داخل فى كل شىء من أمورهم الدينية والدنيوية ، واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية واحوالهم العائلية ، حتى الطعام واللباس والشراب والنوم ، وهذا ما لا نراه فى الاناجيل مثلا ، فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط ، ولا نجد فيها شرعا او حكومة أو احوالا شخصية او نحو ذلك .

وبالجملة فان للقرآن تأثيرا فى آداب اللغة العربية ليس لكتاب دينى مثله فى اللغات الاخرى » .

ولقد صارت اللغة العربية التى نزل القرآن بها اساسا « لغة عالمية » أدهشت الباحثين فى تطورها ونموها على النحو الذى يصوره أرنست رينان فى كتابه « اللغات السامية » يقول :

« ان من اغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، فبدأت فجأة فى غاية الكمال سلسة أى سلاسة ، غنية أى غنى ، كاملة ، بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا اى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت أول أمرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى .

ومن أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال الى درجة أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة » .

وقد اعطى « الفكر الاسلامى العربى » طابعه وروحه فى كل مجالات الفكر .

فى مجال العلوم والفلسفات ، اعطى « منهج البحث العلمى » الذى عرفه الغرب من بعد ، وكانت له الاوليات الاساسية فى دراسات التاريخ والاقتصاد .
وفى مجال التربية كان للكلمة العربية آثارها ومكانها ، فان الآراء التى اعلنها

ابن سينا ونادى بها وما تزال حية وقد أثبتتها الآن دراسات التربية الحديثة . ونظرته هى اليوم موضع التطبيق من حيث التوجيه المدرسى وفقا لميول الاطفال وقدراتهم ، والتوجيه المهنى والاخذ بنظام التعلم الفردى والجمعى فى وقت واحد ، والتعلم وفق قاعدة الانتقال من السهل الى الصعب .

ونظرات الغزالى فى التربية هى أيضا اليوم مصدر نظريات العصر كنظرية التعليم بالترابط والتداعى حيث يكون الترابط فيه بين فكرة واخرى وهو ما صوره الغزالى فى قوله « على الطالب الا يدع فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته طالبا التبحر ، لأن العلوم متفاوتة وبعضها مرتبط ببعض » .

وكذلك « الطريقة القياسية الحديثة » حيث يبدأ التدريس من الجزئى الى الكلى .

ويصور هذا المعنى « بيارد دودج » فى كتابه التربية الاسلامية فى العصور المتوسطة والذى يلخصه أساسا فى عبارة الرسول « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

ويقول عن مفهوم التربية الاسلامية « ان التربية تفاعل بين المعلم والطالب وتجاوب بين نفسين وعقلين فى جو من الحرية والاحترام ، وليس للمنهاج شأن يذكر » .

وقال : ان التربية الاسلامية تهدف الى نشدان الحقيقة والخير لذاتهما ، وعندما ندرس سير علماء المسلمين الذين انقطعوا للعلم نعجب بالتصرف العلمى والجلد اللذين كانا يتجليان فى العالم الاسلامى ، فلا غرض مادى ، ولا هوى سياسى ولا سعى لشهرة زائلة ، بل وقف العقل والنفس للوصول الى الحقائق والسعى اليها ، ولقد كانت التربية الاسلامية تعنى بالاخلاق والفضائل ، ولقد أدرك المربون بالبداهة ان تدريب العقل واستيعاب الحقائق هما جزء من عملية تدريب الطالب ولكن الغاية القصوى هى تهذيب النفس وتقويم الاخلاق » .

ومما يذكر فى هذا الصدد أن العلامة « العبدرى » هو اول من دعا الى أن يلعب الاطفال باللعب بعد المكتب حتى تذهب عنهم آثار التعب والملل .

ويمكن أن يصحح هذا خطأ شائعا حاول « التغريب » اذاعته ، وهو أن الغرب أول من دعا الى التعليم المجانى الملزم ، والواقع ان المسلمين قد بدأوا ذلك منذ فجر الاسلام ، وقد أشار أبو الحسن المقابسى فى دراسته المسماة « رسالة أحوال المعلمين والمتعلمين » الى أن التعليم حق لكل صبى ، وواجب على الدولة وهى مكلفة به ، اذا لم يكن اهله قادرين على الانفاق عليه ودفع أجر معلم الكتاب من بيت مال المسلمين .

وثانيا : تعليم البنات ، لأن الاسلام عام لجميع الناس تمثلا بقول الرسول « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ولا ننسى هذا حديث النبى صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » . ولقد أخذ كثير من الدول الغربية هذا الحديث واعتبرته شعارا لها ، وظن بعض شبابنا انه من صناعتهم وأنه غير مسبوق فى الفكر الاسلامى .

وترد هذه الكلمات على كل ما يوجه للفكر العربى الاسلامى من اتهامات وهى تعطى الدليل الاكيد على خطأ الرأى القائل بأن فكرنا روحى خالص . ذلك أن فكرنا يمثل امتزاج الروح والمادة بالعقل . ويؤكد أيضا أن فكرنا لا يعطى

روح التشاؤم ولا السلبية ولا الانحراف ولا الاحساس بأن الحياة عبث كما تعطى بعض الفلسفات .

وهذه الكلمات تدلل بالبرهان على أن المسلمين كانت لهم عقليتهم ومقومات فكرهم وانهم لم يستمدوا علومهم وفلسفتهم من فكر اليونان ولا من أى فكر آخر . وهى ليست قاصرة على الاخلاق وحدها ، أو عاجزة عن استنتاج المعانى او مجاراة الزمن .

وتكذب ايضا ما يقال من ان فكرنا فكر « غيبى » أو فكر التواكل والتسليم ، بل انها لتؤكد الواقعية والعصرية والايجابية للفكرة الاسلامية بأوضح دليل واجلى برهان .

وفى ضوء هذه اللمحات السريعة تتكشف الحقيقة الواضحة من أن مفاهيم الاسلام تلتقى بالحياة ولا تنفصل عنها ، وانها تستطيع أن تعطى طابع الابداع والايجابية والعصرية والتطور والحركة ، وليس صحيحا ما وصفت به من انها كانت تتطلع الى العالم الآخر وحده ، فلقد كانت تمزج بين نظرتى الدنيا والآخرة ، ولم يمنعها ذلك من الكشف والبحث والعلم والعمل الايجابى المنتج فى مجال الحضارة الانسانية .

وليس من العدل او الانصاف ان يحاكم الفكر الاسلامى بفترة الضعف التى مر بها العالم الاسلامى حين لم تكن قيم الاسلام هى التى حالت دون التقدم ، أو هى التى وقفت بالمسلمين وقتة الجمود ، بل كان تركها واهمالها هو السبب فى الانفصال الذى وقع بين جوهر الفكر الاسلامى وبين التطبيق ، فليس الاسلام سبب التخلف بل أن المسلمين تخلفوا عندما انسحبوا من مقومات فكرهم .

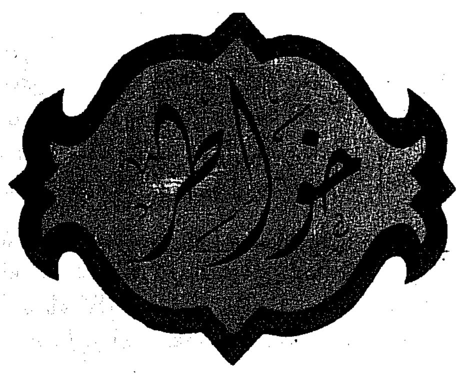
ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا على الحياة دائما وعلى التخلص من النظريات التى تحاول أن تفسد جوهره ، فقد حارب فى فترات نموه ، التقليد الاعمى والجمود والخرافات ، وحرص كثير من أعلامه كالاشعرى والغزالى وابن تيمية على حمايته من تجاوز الفلاسفة أو تجاوز الصوفية .

وقد عاش دائما واقعية الحياة واستطاع أن يتجدد وأن يجتهد متخلصا من قيود التقليد ، وقد اعطت النماذج المتعددة ، لمفاهيمه وقيمه قدرة المفكرين المسلمين من فقهاء وائمة على ملابسة أحوال العصور وتعرف حاجات الناس ، وايجاد حلول ايجابية تقدمية حية لكل حالة ، مقدرين تطور الزمن وتغير البيئات .

فالفكر الاسلامى يمثل خطا موحدا متصلا ، عماده الانسان ، وبناء كيانه النفسى والمادى معا ، وايجاد حلول لمختلف قضاياه ومشاكله . ولقد يذهب بعض الدارسين هنا وهناك يبحثون عن كلمات شرقية أو غربية حديثة ليجدوا فيها عصارة التجربة الانسانية الايجابية . وما من كلمة هنا وهناك ، الا وقد مرت على لسان العربية وفكر الاسلام .

وقد أعطت الكلمة المستمدة من القرآن ، تلك القوة الذاتية التى مكنت من مقاومة كل عدوان ، وحماية المقومات .

وما زال الفكر الاسلامى فى جوهره ومنابعه قادرا على اعطاء الانسانية فيضا من الكرامة ، واقامة العدل الاجتماعى ، وتوثيق بناء الحضارة على أساس التضامن والمساواة والاخوة . وفى أزمة الانسان والضمير العالمى اليوم يجد الفكر الاسلامى طريقا جديدا ليكون بلسما للانسانية وعلاجا لها من أزمتها الحاسمة .



عبد المنعم النمر

كلـكم يبـكى :

لعل مما يشفع للمجلات الشهرية عند القراء فى عدم متابعـة الاحداث بالسرعة المطلوبة أنها تصدر كل شهر ، وليست كالصحف اليومية والاسبوعية .. وانني أكتب لك هذا بعد حادث الاعتداء الغادر على الاردن فى الثانى والعشرين من ذى الحجة الماضى ــ الحادى والعشرين من مارس الماضى أيضا ، وعـدد المحرم تدور به المطبعة فلم يبق أمامنا الا عدد صفر نلتقى فيه معك بخواطرنا ..

لقد استوقف نظرى ونظر كل عربى ما جاء فى رسالة الملك حسين للملوك والرؤساء ، فى يوم العدوان ، يطالبهم فيه بعقد مؤتمر القمة فيقول :

((واذا كان مدى هذه العمليات أو منتهاها غير معروف فى هذه اللحظة ، فان الذى لا ريب فيه هو أن فى طليعة الاسباب التى تسهل على العدو قيامه بالعدوان تلو العدوان وتشجعه على اقتراف المزيد منه معرفة العدو معرفة دقيقة واكيدة بحقائق الوضع العربى تجمعا وحشدا واعدادا)) .

((فبينما يعمل العدو يدا واحدة ، وهدفا واحدا ، فانه يعرف حقيقـة الامكانيات والطاقات التى وضعتها الامة العربية وقياداتها فى الميدان ، وهو ايضا يعلم اننا نكتفى بالتحدث عن الصف العربى ووحدته ، من غير أن نعمـل جديا على بنائه عربيا سليما ، يتطابق فيه مع المضمون الذى كان لصفنا العربى والاسلامى يوم كان لنا آباء واجداد يؤثرون الموت فى سبيل الله والوطن والعقيدة على كل عرض فى هذه الدنيا الزائلة)) .

((اننا لا نعرف حتى هذه اللحظة الى أين ستنتهى معارك اليوم الدامية ، وان كنا نخوضـها بكل العزم والتصميم ، دفاعا عن قدسية وطننـا ، وشرف عروبتنا .. ولئن اخذتم تسمعون عنا ، وليس منا ، بعد هذا اليوم ، فلاننـا ــ والله ــ قد طالت نداءاتنا ، وتوالت ، ولم يبق لدينا من مزيد الا أن نهيب بكم للمرة الاخيرة أن تلتقوا فى الحال بمستوى القمة ، وكونوا بعون الله قمة فى مواجهة اصعب ظروف ، واقسى منعطف تاريخى يجابه أمتنا فى تاريخها كله)) .

وهذه الحقيقة التى يعبر عنها الملك حسين فى رسـالته من ((اننا نكتفى بالتحدث عن الصف العربى ووحدته من غير أن نعمل جديا على بنائه .. الخ .. وان من الاسباب التى تسهل على العدو قيامه بالعدوان تلو العدوان معرفتـه معرفة دقيقة بحقائق الوضع العربى الخ ..)) .

اقول هذه الحقيقة المرة لم تعد بعيدة حتى عن فهم العربى الامى فى الحقل ، او فى الصحراء ، فهى ليست جديدة بالنسبة للشعب العربى كله .. بل ان الذى يحزنه ويدميه هو عدم تجاوب المسئولين عن هزيمته وعاره مع هذه الحقيقة ..

ولكن الجديد الذى لفت نظرى هو أن المسئولين عنا على مستوى الملوك والرؤساء أخذوا هم الآخرون يتحدثون عن هذه الحقيقة فى رسائلهم التى ردوا بها على الملك حسين !!

فلمن يتحدثون ؟!
وفي وقت آخر سمعت وقرات نداء موجهـا من أحد الرؤساء الى الامة العربية أن تتحد لمواجهة العدوان .. نعم الى الامة !! والامة تستغيث من هذا التفرق ، وتطالب الرؤساء بالاتحاد وهي متحدة فعلا . ليس هناك ما يفرقهـا برغم ما بين رؤسائها من خلاف . فمن يطالب بالاتحاد ؟!

نحن نتحـدث ونطـالب الرؤسـاء بان ينتبهـوا لهـذه الحقيقـة ، ويعملوا على مستواها ، لاننا لا نملك الا الحديث ، أو — في الحقيقة — بعض الحديث !! اما الرؤساء الذين يملكون العمل والبت ، والذين طال انتظار شعبهم العربي الكبير لخطوة منهم نحو هذه الحقيقة ، فلمن يتحدثون ؟ ومن يطـالبونه بالعمل ؟

عجيب والله امرنا .. الهزيمة وقعت للفرقة والاختلاف . والنصر ومحو العار معلق امرهما بالاتحاد : اتحاد الرؤساء وجمع الطاقات العربية كلها .

فمن الذي يحول دون محو العار وتحقيق الانتصار ؟ من الذي يؤخر يوم النصر ؟

لقد تحيرت — والله امام هذه الظواهر ، وكاد راسي ينفجر ، وان كانت اوقاتي كلها لا تخلو من دهشة وحيرة والم من واقعنا الذي نعيش فيه ، مثل كل عربي . وذكرني ما يمر بنا بحادث طريف ، ولكنه مرير ، يروى عن رجل من صلحاء هذه الامة ..

فقـد جلس الحسن البصري يوما يعظ النـاس ، ويذكرهم بالله واليوم الآخر ، حتى ابكاهم . فلما انتهى من درسه ، واخذ يستعد للانصراف ، بحث عن مصحفه الذي كان بجواره ، فوجده قد سرق ، فتغيظ الرجل الناسك ممـا حدث ، ولم يستطع السكوت ، والتفت الى هؤلاء الذين لم تجف دموعهم وقال لهم في الم مر : كلكم يبكي ، فمن سرق المصحف ؟!!

حكمـة :

قال لي :

كان المسئول العربي الكبير يتحدث ، وانا استـمع الى حديثه بشغف ، فكان مما قاله : انني احرص على أن اتيح للشعب ان يبدي رايه بحرية وصراحة ، بالرغم مما يشوب هذه الحرية احيانا من مظاهر المرض وسوء الاستغلال .. لان الحرية تتيح لي ان اعرف كل شيء عن الشعب ، واقف على آلامه وآماله ، وعلى التيارات التي يتاثر بها .. فاعمل بقدر الطاقة على أن احقق للشـعب آماله ، وابعـد عنـه آلامه ، ثم لا يغيب عني — وقـد وقفت عـلى التيـارات والنزعات — ما يرمي اليه هـذا من كلامه ، وذاك من تصرفه ، وتنكشف امامي بعض خبيآت النفوس .. فاتصرف على ضوء ما أعرفه ، ولا انخدع بالمظاهر ، ثم احتاط في الوقت المناسب لبعض هذه التيارات الضارة ، واقي الشعب شرورها ..

قلت له : هذا ارقى ما يصل اليه حاكم من تفكير وحكمة ، فيجني هـو والشعب معه ثمرات هذه الحكمة ..

قال لي صديقي : الا تعرف ان اللورد كرومر حين كان يحكم مصر باسـم الاستعمار الانجليزي — وهو من دهاة السياسيين الانجليز المعروفين — كان يحلو له احيانا أن يطلق للصحافة الوطنية حريتها ، تتحدث بما تشاء ، وتعارض كما تشاء ، ليقف على التيارات التي تسود الوطنيين في مصر ، وتشغل أفكارهم ، فيبني سياسته على ضوء ما يعرفه من خلال هذه الحرية . وقد تحدث عن هذا

فى مذكراته ، واشاد بهذه السياسة التى اتبعها ، لانها اتاحت له أن يعرف كل شىء عن الشعب . ولو انه استعمل الضغط والكبت ، وقيد حرية الصحافة والكلام لما استطاع أن يحصل على المعلومات التى أتاحتها له حرية الصحافة ، هذا فوق أن الحرية تصرف كثيرا من الانفعالات المكبوتة ، فلا تكون هناك ضرورة للبحث عن مسارب ضارة للأمة وللحاكم معا ..

قلت له : انها لحكمة حقا ولكن العجيب فى الامر ان ما ادركه كرومر الداهية الذى ينتسب الى الامة الداهية بعد أن تعلم ودرس وتقلب فى المناصب واستفاد مع العلم بالتجارب .. ادركه هذا المسئول العربى بفطنته وحرص على تطبيقه بسماحته وحكمته .. وان كان الموقف يختلف بالنسبة للاثنين .

فكرومر المستعمر كان يتخذ من حكمته طريقا لتثبيت دعائم الاستعمار ، وتمكين قبضته من عنق الشعب .. أما هذا الحاكم العربى الوطنى فانه يتخذ منها طريقا لاسعاد شعبه ، وتقديم المزيد من الخدمات له ، وصيانة بنيانه من الهزات التى تعرضه للخطر .. والكسب النهائى فى الحالة الاولى للمستعمر لا للشعب .. أما فى الحالة الثانية فالكسب للشعب وللحاكم معا ..

وبمثل هذا تساس الامم بابنائها ، وتخدم بحكامها .

ومن أجل هـذا تسعى الامم المستعبدة وتجاهد ، وتضحى ، لتاخذ استقلالها وحريتها ، وتحكم نفسها ، وتتخلص من حكم الغرباء عنها ، لتنعم بعد التضحية والعذاب باليد الرحيمة من ابنائها ، الذين يحرصون على مصلحتها ، ويوفرون لها حريتها وكرامتها ، ويعوضونها ما عانته من عذاب وتنكيل ، وما بذلته من دماء وتضحيات ، من أجل استقلالها . فتنعم بالحرية الحقة بعد الكبت او بعد الحرية المصطنعة الملغمة ، وتنعم بالامن بعد الخوف ، وبالرفاهية بعد الضيق ، وبشعورها بانها تشارك فى حكم نفسها ، وتحمل تبعات نهضتها ..

ولهذا كان من الخطر كل الخطر على معنى الحرية والاستقلال أن تجد الامة من ابنائها الذين يتسلمون — بعد الاستقلال — مقاليد الحكم فيها ، استهتارا بتبعاتهم ، وتنكرا لأمتهم ، وتشبثا بالحكم يلغى فى نفوسهم كل معانى الحرية والاستقلال والعدل ، ويدفعهم الى حكم الامة بالسياط ، وارغامها على ما لا تريد بالخوف والارهاب ، واراقة الدماء ، والعبث بالارزاق والكرامات ، والقوانين والحرمات ، مما لم تكن الامة تراه تحت حكم الاستعمار .. أو كانت تنتظر الخلاص منه بالاستقلال ..

نعم . من الخطر كل الخطر أن ينقلب المحاربون للاستعمار ، الى جلادين لأبناء امتهم بعد زوال الاستعمار . وقاتلين فيهم روح الاباء والشمم التى دفعتهم من قبل لمشاركتهم فى حرب المستعمرين .. فمن العسير أن تمنع أى انسان من المقارنة بين ما كان يراه ويشعر به فى عهد الاستعمار ، وبين ما يراه ويشعر به فى عهد الاستقلال . ومن الكارثة أن يخرج انسان بنتيجة ليست فى صالح القيم التى ظل يجاهد السنين الطوال من أجلها ، من الكارثة أن ترتفع أصوات تبكى الايام الماضية وما كان فيها من حرية واحترام لدماء الناس وأمنهم على قلة ذلك .

فليتق الله فى شعوبهم وفى المعانى الحلوة الكريمة أولئك الذين يتيح الله لهم السلطان والحكم ، وليكونوا رحماء عادلين كما وصف الله المؤمنين .

عبـــادة :

يشعر الذين يقرءون القوانين او يدرسونها عادة بشيء من الجفاف النفسي يزهدهم فى قراءتها اللهم الا اذا كانوا محتاجين اليها فى امتحان أو فى قضية من القضايا .. لذلك تجد كتب القوانين كتبا خاصة لا تقرأ الا عند الضرورة .. وما وجدنا انسانا ــ كما أعتقد ــ يقضى فراغه فى قراءة القانون ..

ومن هنا لاحظت أن الآيات التشريعية التى جاءت فى القرآن الكريم تنفرد بميزة لا يشاركها أى تشريع فيها .. فتلاوتها عبادة يقبل المسلم عليها ، ويقرؤها المصلى فى صلاته ، ويستمع الناس الى قراءتها من القراء فى خشوع .. واذا وجد المسلم فراغا أو مللا أو ضيقا فانه يلجأ الى القرآن الكريم يشرح به صدره ، وفيه هذه الآيات التشريعية ، لا فرق فى ذلك كله بين عالم متخصص وغير عالم .. ومن هنا يمتزج التشريع بالنفوس .. وتحس ما له من قداسة مستمدة من قداسة الله تعالى ، منزل الآيات الكريمة ، ومشرع هذه التشريعات .

وهذه ميزة ــ كما قلت ــ ينفرد بها التشريع الاسلامي .. ميزة يمكن للحاكم الرشيد أن يستغلها لتوفير أسباب الأمن والرخاء للأمة عن طريق سيادة القانون ، ومعرفة الناس به ، وخضوعهم ــ دينا ــ له . وهى ميزة تحقق له راحته ، كما تحقق للأمة راحتها وهدوءها ، واستقامة الأمور فيها ..

ميزة .. ولكن ــ مع الأسف ــ لا نستغلها ، وفرصة .. ولكن لا ننتهزها .. وهذا من سوء حظ هذه الأمة ، ومن أسباب ما تعانيه من بلاء ومحن ..

ما راينا قانونا أو تشريعا يتعبد الناس بتلاوته ، ويقرؤونه فى صـــلاتهم كتشريعنا ..

وما راينا قانونا اقرب الى قلوب الناس من قانوننا ..
وما راينا اناسا يهملون ــ مع كل ذلك ــ قانونهم مثلنا ..
اليس ذلك هو الفشل الذى نعوذ بالله منه ، ونرجوه أن ينجى هذه الأمة من شره ؟!

هبى ريح الجنة :

طالما اهبت بالفلسطينيين ان يكونوا صـــادقين مع الله ومع انفســـهم وبلادهم ، ويقدموا الدليل العملى على اخلاصهم لقضـــيتهم ، وهم أول الناس اكتواء بالنار وأكثرهم احساسا بلهيبها ، وقلت لهم فيما قلت : ان الموتة الطبيعية لكم هناك .. على أرضكم شهداء .
ولا زلت أؤمن بأن عشرة آلاف يهبون أرواحهم لبـــلادهم ، مع التخطيط المحكم ، وفى وقت متلاحق ــ كما يفعل الفيتناميون ــ يمكنهم أن يغيروا وجه التاريخ فى المنطقة ..

ولقد جاءت اخبار معركة الكرامة وما بعدها مبشرة بامل جديد فى العمل الفدائى البطولى ، ولقد كنت وأنا أقرأ ما نشر عن اعمال الفدائيين فى المعركة بين شعورين : شعور بالألم لهؤلاء الذين استشهدوا ، وشـــعور بالفرح لأن العمل الجدى فى سبيل الارض السليبة ، والكرامة المهدرة قد بدأ وبدات الدماء

والارواح تبذلان جديا في سبيلهما .. وفي الوقت نفسه كنت أحدث نفسى بما بلغه هؤلاء الشهداء من منزلة عند الله ، كما يحدثنا القرآن الكريم والرسـول العظيم .. ووجدتنى أردد حديث الرسول صلى الله عليه وسـلم وهو يتمنى ان يقتل فى سبيل الله فيحيا ليجاهد فيقتل ثم يحيا فيقتل وذلك لما للشهداء عند الله من منزلة وكرامة قررها الله سبحانه وهو يقول : ((لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عنـد ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويسـتبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) .

اذكر هذا واقول : ضمن هؤلاء الشهداء الجنة ، فما أسـعدهم .. لقد دخلوا المعركة ليدافعوا عن دينهم وارضهم ومقدساتهم .. وليست هناك غاية اكرم من هذه الغاية يلقى المسلم ربه فى سبيلها ..

لقد هبت ريح الجنة على ((الكرامة)) وعلى كل شبر من الارض السليبة سقط فيه شهيد ..

وهبت مع ريح الجنة ريح الرضا من الله ، تشفى جراحات النفوس من الأحياء ، وتوحد قلوبهم ، وتجعلهم جميعا فدائيين يحرصون على الشـهادة واللحاق بمن سبقوهم عند ربهم يرزقون ..

شيء واحد اسفت له خلال المعركة وهو عدم توفر الأسـلحة الحديثة السريعة فى يد المناضلين الفدائيين واضطرارهم لاستعمال السكاكين والعصى امام جنود الأعداء المسلحين . اما كفى ما فات من زمن ومن تهديد العدو لنا لنستعد بمثل اسلحته او بما يقاربها على الاقل ؟!

ان المؤمن كريم على نفسه وعلى ربه وعنده من الشـجاعة والاستبسال وحب الاستشهاد ما يانف معه ان يربط بجنزير فى دبابته كما يفعل الأعداء ..

فهيا يا اتبـاع محمـد ويا احفاد خالد وابن الجراح .. هيا الى رياض الجنة ، والى رياض أرضكم ، فان عدوكم جبان ، وما جمله يستاسد الا ما ظهر فيـكم من قبل من حب الدنيـا وكراهية الموت . واطلبوا الموت توهب لـكم الحياة ..

قال لى :

ماذا دهى امريكا التى تمثل الحضارة الغربية حتى نرى فيها ما نرى من قتل للأبرياء ونار وحرائق وتخريب ؟

قلت له : هذا امر طبيعى واقل مما ينتظر لحضـارة او لمجتمع يقوم على البغى والعدوان والصلف ، لا على غير الامريكان فقط بل على الامريكان أنفسهم كذلك لا لشيء الا من اجل لونهم . فهل رأيت تفاهة فى التفكير ، وسقوطا فى المدنية والحضارة ، كهذه التفاهة ، وهذا السقوط ؟!

قال : والنتيجة ؟

قلت : اقرا قوله تعالى ((فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)) .

رحلة إلى طيبة

للشيخ : حمد الجاسر

قام الاستاذ المحقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة (العرب) وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة الى المدينة يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته . ونشر هذا التحقيق في مجلة (العرب) . .

وقد نشرنا في العدد السابق القسم الأول من هذا التحقيق وفيما يلي القسم الاخير منه .

ويحسن ايراد وصف موجز للطريق العام الذى سار عليه الصلاة والسلام بقربه ولم يسلكه .

ولقد عنى المتقدمون بتحديد مواقع هذا الطريق عناية كبيرة كما عنى ملوك المسلمين المتقدمون باصلاحه ووضع العلامات التى تحدد المسافات فيه لانه الطريق الذى يصل بين المدينتين الكريمتين من أقرب المسافات ولكن هجران هذا الطريق منذ أن اختل الامن فى أثناء العهد العباسى جعل الناس ينصرفون عنه لوقوع اكثر منازلة بين أودية وجبال تحتلها القبائل الذين كثيرا ما تقسو عليهم الحياة وتضطرهم الى النهب والسلب أثناء عجز ولاة تلك النواحى عن تأمين ذلك الطريق .

وكان من أهم الامور التى دعت الى تحديد منازل هذا الطريق سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وسيره فيه أثناء أسفاره من المدينة الى مكة ، والمتقدمون كانوا يعنون بتتبع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة مساجده .

وقد كان من أبرز من عنى بتحديد منازله من العلماء المتقدمين عالم يدعى

ابا عبد الله محمد بن احمد الأسدى (١) ولا نعرف عن هذا العالم الا ما أورده السمهودى مؤرخ المدينة عنه فهو يقول (انه من المتقدمين يؤخذ من كتابه أنه كان فى المئة الثالثة)(٢) وقد ذكر أن له منسكا حدد فيه أمكنة المساجد النبوية ، وأورد السمهودى ذلك التحديد مفرقا فى كتابه .

ويظهر مما نقل السمهودى عنه أنه من جهة العراق لوصفه مواضع تقع فى طريق البصرة الى مكة فى نجد (٣) ومواضع أخرى تقع فى طريق الكوفة كتحديده للطريق من فيد الى المدينة(٤) وقد حدد مواقع فى طريق المدينة الى مكة ، الطريق النجدية مثل (أفاعية)(٥) وحدد الطريق من ذات عرق وهو ميقات أهل المشرق (٦) .

وقد نقل القاضى عياض فى شرح مسلم عند الكلام على اهاب عن عالم يدعى الاسدى ووصفه بأنه من مشائخه ولا نعلم هل هو هذا أم غيره ؟
يحدد المتقدمون مراحل هذا الطريق على النحو الآتى :
— من المدينة الى الشجرة (٦) أميال ، ومعروف أن الشجرة فى ذى الحليفة مكان الاحرام المعروف الآن بأبيار على .

ويستمر الطريق القديم مع الطريق الذى تسلكه السيارات الآن الى المسيجيد ومن أشهر المواضع القديمة فيه (الروحاء) . ولا تزال معروفة وكانت لها شهرة قديمة ، ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال وهو فى وادى الروحاء مشيرا الى الجبل العظيم الممتد عن يسار المتجه الى مكة : (ما اسم هذا الجبل) ؟ فقالوا : (ورقان) فقال : اسمه (حمت) جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه وبارك لأهله فيه اتدرون ما اسم هـــذا الوادى يعنى وادى الروحاء ؟ هذا سجاسج لقد صلى فى هذا المسجد قبلى ٧٠ نبيا ولقد مر بها — يعنى الروحاء — موسى بن عمران فى ٧٠ الفا من بنى اسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى ابن مريم حاجا أو معتمرا) والحديث من رواية ابن زبالة ومعروف مقامه عند المحدثين .
ولقدم الروحاء نشأت فكرة وجود قبر مضر بن نزار فيها ، كما اشار الى ذلك البكرى فى (معجم ما استعجم) .

ويشاهد المرء غرب البئر والمسجد آثار بناء قديم ومقابر كثيرة هناك . وتبعد الروحاء هذه عن المدينة بما يقارب ٨٠ كيلا ، وبعد الروحاء بأربعة اكيال يمر المسافر بطرف جبل عن يمينه يسمى عرق الظبية ، بجواره مسجد متهدم وآثار قبور بطرف المسجد ، وللمسجد هذا ذكر عند المتقدمين حيث يعدونه هو ومسجد الروحاء من المساجد النبوية والذى يعنينا من هذا هو الاشارة الى قدم هذه المواضع .
ومن الروحاء الى المسيجيد القرية الكبيرة الآن ٨ أكيال ، والمسيجيد اسم

---

(١) وفاء الوفاء ١/٦٨ الطبعة الاولى
(٢) المصدر السابق ٢/١٦٤
(٣) وفاء الوفاء ٢/٢٢٨
(٤) نفس المصدر ٢/٢٦١
(٥) المصدر السابق ٢/٢٤٨
(٦) نفس المصدر ٢/١٨٣ .

حديث ويعرف قديما باسم المنصرف بفتح الصاد وفيه مسجد يعرف بمسجد الغزالة لا يزال معروفا وهو قديم ايضا ذكره البخاري فى صحيحه .
وسيل وادي الروحاء يفضى الى المنصرف ولهذا يسمى منصرف الروحاء ، ويجتمع مع اودية النازية ورحقان ووادى الجى ثم تفيض هذه الاودية على الصفــراء .

والطريق القديم ينصرف من المنصرف ذات اليسار متجها صوب الجنوب تاركا الطريق المعروف الآن بيمينه .

ومن الأمكنة القديمة التى كان يمر بها هذا الطريق الرويثة ، وكانت من اشهر منازله ، فيها آبار وحياض ويقع بقربها جبلان يدعى الشرقى منهمــا (الحسناء) ويدعى الغربى (الحمراء) ولا تزال آثار قرية الرويثة باقية بعد ان ينزل المرء فى الوادى يشاهد تلك الآثار عن يمينه ، ويحــدد المتقدمون المسافة بينها وبين الروحاء بـ ١٥ ميلا على وجه التقريب .

ومن الرويثة الى السقيا وهذه درس اسمها وتعرف الآن باسم أم البرك ، وقد نقل السمهودى عن الاسدى أن فى السقيا اكثر من ١٠ آبار وان عندها بركة وفيها عين غزيرة الماء تصب فى بركة المنزل ، وهى تجرى الى صدقات الحسن بن زيد عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقطعت ثم عادت فى سنة ٢٤٣ هـ ثم انقطعت فى سنة ٢٥٣ هـ وعلى ميل منها تقع صدقات الحسن ، فيها من الآبار المزروعة ٣٠ بئرا وفيها ما احدث فى ايام المتوكل ٥٠ بئرا ، ماؤهن عذب وطول رشائهن قامة وبسطة واقل واكثر ، وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها (تعهن) انتهى كلامه . وهذه السقيا تعرف قديما بسقيا بنى غفار تفريقا بينها وبين السقيا التى فى وادى الجزل ، وتقع السقيا هذه فى أعلى وادى القاحة حيث يلتقى بوادى تعهن .

وقبل السقيا هذه يمر المسافر بواد عظيم هو وادى الجى وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذا الوادى ليس له ذكر عند المتقدمين وهذا سهو منا فقد ذكروه .

جاء فى رسالة عرام بن الأصبغ السلمى : « ورقان جبل اسود عظيم ينقاد من سيالة الى المتعشى بين العرج والرويثة ، ويقال للمتعشى الجى ، وبسفح ورقان من عن يمين : سيالة ثم الروحاء ثم الرويثة ثم الجى » .

وقال ياقوت فى المعجم : « جى بالكسر واد عند الرويثة بين مكة والمدينة ويقال له المتعشى ، وهناك ينتهى طرف ورقان وهــو فى ناحية الجبل الذى سال بأهله وهم نيام فذهبوا والله اعلم ! » وهذا القول لنصر الاسكندرى .

ان الطريق من المسيجيد الى أم البرك المعروفة قديما بالسقيا ، يتجه الى الشرق ثم الى الجنوب ، وعندما يقبل على ام البرك ، ينعدم اتجاهه الى الجنوب فيتجه شرقا يميل نحو الشمال ، ولا يزال على هذا الاتجاه حتى يصل مدينة رابغ .

اما الطريق الحديث ، فانه من المسيجيد يتجه غربا ثم يأخذ فى الاتجاه صوب الجنوب عندما يصل بلدة بدر ويستمر بمحاذاة البحر .
واهم المواضع الأثرية الواقعة على الطريق القديم بعد السقيا : عين تعهن وقد ضعفت هذه العين منذ امد طويل ، ولم يبق الآن سوى آثارها ، يدعها المرء عن يساره اذا اتجه من السقيا الى الأبواء .

يسير المتجه فى وادى القاحة ، والسقيا فى هذا الوادى ، ويلتقى بوادى تعهن بعد السقيا بكيلين اثنين تقريبا ، ثم يدع وادى القاحة بيمينه وينزل فى واد يدعى ثقيب بفتح الثاء وكسر القاف ، له ذكر من الشعر القديم وفيه آثار عمران لا يزال باقيا منها موضع يدعى البستان وهو بستان كاسمه . وثقيب من روافد وادى القاحة ، ومنه طريق الى الفرع فى اتجاه أعلى الوادى ، وبعد ثقيب بما يقارب عشرة أكيال واد يدعى (نعا) فى ملتقاه بوادى القاحة آثار بنيان وعمران قديم .

ثم يستمر السير فى وادى القاحة ، وعلى بعد عشرة أكيال من وادى نقا للمتجه نحو مكة هناك يلتقى وادى النخل بوادى القاحة ، وهذا الوادى من اشهر الأودية ، وعند التقائه تتسع الأرض وتكثر آثار العمران القديمة حول المكان المعروف الآن باسم : بئر مبيريك .

ويذكر المتقدمون ، أن بين السقيا وبين الأبواء فى الوسط بينهما عين تدعى عين القشيرى وهى عين كثيرة الماء ، ويقال للجبل الايسر المشرف عليها تدس وأوله فى العرج ، وآخره وراء هذه العين . ويقال للجبل الذى يقابلها يمنة يقال له باتل ، وللوادى الذى بين هذين الجبلين وادى الأبواء [1] . ان هذا الوصف ينطبق على الموقع المعروف الآن باسم بير مبيريك والتى يقال بأنها منسوبة الى أحد مشايخ قبيلة زبيد اهل رابغ فى العصر الحاضر ، وانه حفر هذه البئر منذ عهد قريب فى هذا الموضع فنسبت اليه ، ولا يزال يعرف بوادى الأبواء .

وعلى بعد خمسة عشر كيلا توجد القرية المعروفة باسم الابواء ، وكانت الى عهد قريب تعرف باسم الخريبة وفى سفح الجبل الواقع بقرب مدرسة هذه القرية يوجد آثار قبر منسوب الى آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ، وبقربه مسجد قديم . والمتقدمون يذكرون من المساجد النبوية ، مسجد الأبواء .

ومن الابواء يأخذ الطريق ذات اليسار متجها صوب الشرق ، وبعد ١٩ كيلا يصل الى ثنية هرشا ، وهذه الثنية تجزع طرفا يمتد من الحرة حرة رهاط يمتد معترضا الطريق الى الغرب حتى يقرب من البحر فيما بين رابغ ومستورة ، وفى هذا الطرف قسم يدعى باسم هرشا فيه ثنيتان الغربية منهما أسهل من الشرقية لتعبيدها وفى هذه الثنية ورد المثل :

خذ انف هرشا أو قفاها فانما كلا جانبى هرشا لهن طريق

وقد حرف هذا الاسم فى بعض الكتب الحديثة الى حرشا [2] وقد مهدت ثنية هرشا قبل عشر سنوات لمرور السيارات عندما كان هذا الطريق مسلوكا قبل اصلاح الطريق الحالى طريق الخبت ، وكان الطريق القديم الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة ثم كان المسلمون قديما يسلكونه .

كان يمر بهذه الثنية . ويحدد المتقدمون المسافة بينها وبين الابواء بثمانية أميال ، وقد سلكتها بالسيارة فبلغت من الثنية الى مدرسة الابواء ، ١٩ كيلا وهذا يقارب تحديد المتقدمين .

---

(١) وفاء الوفاء) فى الكلام على مسجد الرمادة .

(٢) مسافات الطرق فى المملكة .

وبقرب الإيواء تقع (ودان) وليست على الطريق ، ولكنها فى اسفل الابواء ، وادى الابواء يفيض فيها والذى يقصدها ينحرف اليها ذات اليمين قبل وصوله الى الابواء ، وبعد صدوره منها يعود الى ثنية هرشا ، ولا يمر بالأبواء .

وتقع (ودان) بحسب ما حدده المتقدمون بقرب قرية مستورة اذ وادى الأبواء يفيض فى البحر عندما يحف مستورة من جهة الجنوب .

وودان هى بلدة الشاعر نصيب المشهور التى يقول فيها :

اقول لركب موجفين لقيتهم	قفا ذات أوشال ، ومولاك قارب
قفوا حدثونى عن سليمان اننى	لمعروفة من اهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى انت أهله	ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

يقصد الخليفة سليمان بن عبد الملك .

وممن عرف من شعراء هذه النواحي الشاعر خارجة بن فليح المللى وكان يسكن وادى ملل وهذا الوادى لا يزال معروفا ويقع بين الفريش الذى يبعد عن المدينة بـ ٤٩ كيلا وبين وادى تربان الذى يصب فى ملل ويبعد عن المدينة ٣٣ كيلا .

ومن (تربان) : الشاعر عروة بن أذينة الكنانى .

ومن هرشا يتجه الطريق الى الجحفة هذا الطريق القديم ، وتقع الجحفة فى الجنوب الغربى من بلدة رابغ ، ولا تزال معروفة ، وتبعد عنها بـ ١٩ كيلا وكان المتقدمون يحرمون من رابغ قبل محاذاة ميقات الاحرام ، لأن طريق رابغ يأخذ الساحل ويدع الجحفة بيساره ، ووادى الجحفة يصب فى البحر عند نقطة تبعد جنوبا عن رابغ بـ ٢٠ كيلا .

والجحفة كانت قديما مدينة أثرية فى العهد الجاهلى وفى صدر الاسلام ، ولا تزال آثار المسجد النبوى قائمة وقد بنى بقربه مسجد حديث .

ويشاهد المرء على ضفاف الوادى آثار العمران من آبار ومزارع وقبور واساسات بالصخور .

ومن أغرب ما يشاهده المرء بقرب الجحفة وعلى مسافة ١٠ أكيال تقريبا غرب المسجد يشاهد آثار بناء واطلال قصر لا تزال قائمة يدعى (قصر عليا) ويحوك أهل تلك الجهة حوله أخبارا تتعلق بأبى زيد الهلالى وبصلة عليا هذه به . والعرب فى هذا العصر كثيرا ما ينسبون كل شىء قديم الى قبيلة (بنى هلال) كما كان المتقدمون ينسبون كل شىء قديم الى قبيلة (عاد) .

وهذا القصر مبنى بحجارة الحرة السوداء وبالجص بناء محكما وهو شبه مربع ، ولا تزال جدران الجهة الغربية والجهة الجنوبية قائمة سامقة الارتفاع .

ويحيط به من داخله محاريب كثيرة باستطالة الجدارين القائمين ، وهذه المحاريب ممتدة بامتداد الجدارين من الداخل وليس فيها نوافذ .

ويظهر أن هذا معبد قديم .

وهو يقع على الضفة الغربية من واد يدعى بالفايضة يفيض فى وادى الجحفة .

وعلى بعد ٢٠٠ خطوة تحت القصر فى بطن الوادى ، توجد بئر مطوية بالصخر وحولها آثار الزراعة مما يدل على أنها كانت عامرة الى عهد قريب وفى فناء القصر ، توجد بعض الاشجار ، مما يدل على أن الماء كان متصلا به .

هؤلاء المتشاعرون

للدكتور: عبد الرحمن عثمان

الاستاذ المساعد للادب والنقد فى كلية اللغه العربية ــ جامعة الازهر

هناك كلام يسميه أصحابه بالشعر الحر كما يسمى الخارجون على القوانين خروجهم حرية .. ونحن مع احترامنا لاشخاصهم وأفكارهم ، لا نستسيغ هذه التسمية التى يطلقونها على كلامهم وما يضيفونه اليه من نقط وعلامات تعجب واستفهام .. ولا نرى لتشبثهم بهــذه التسمية الا اجلالهم للشعر وحبهم للانتســاب اليه مع عجزهم عن حقيقة مواصفاته . وقد جاءتنا كلمات من هذا القبيل لها معناها الجميل لكنا لم ننشرها لان أصحابها يدعون أنهــا شعر . ونحن لا نقرهم على هذه التسمية ، ولهذا رحبنا بمقال الكاتب الناقد لهذا اللون من الادعاء .

« الوعى الاسلامى »

لا جدال فى أن الظواهر التى تطرأ على الفنون تستمد وجودها من قوانين البيئة فى مفهومها العام ، اذ الفن فى حقيقته لا يعدو أن يكون تعبيرا جميلا عن البيئة ، ونتاجا شرعيا لنظامها المتطور دائما الى ما يبدو أنه الافضل والامثل ، وعلى هذا فالظواهر الفنية التى قد نظنها مستحدثة فى هذا المجال ، ليست الا براعم جديدة ، تخلقت من جيشان الحياة والنماء فى الجذور الضاربة فى أغوار البيئة ، التى تفصح عنها الفنون بوسائلها المختلفة .

واذا كان المقام يحتاج الى شاهد يفسر الصلة الوثيقــة بين البيئة وما تستحدثه فى الفنون من ظواهر متنوعة ، فان الادب الاوربى فى الامم اللاتينية يصلح شاهدا على تأكيد هذه الصلة وتقويتها ، بل والتعليل لها على وجه فيــه شمول ، فاذا تتبعنا العوامل التى تأثر بهــا الادب الفرنسى مثلا منــذ القرن السادس عشر الميلادى حتى الآن ، نلاحظ فى وضوح تأثير البيئة الفرنسية على الادب فيما كانت تنادى به جماعة (الثريا Lapeiade) التى تألفت خلال ذلك القرن من ســبعة شــعراء فرنسيين تحت زعامة الشــاعر المشهور : (رونســار Ronsaro) (١٥٢٤ ــ ١٥٨٥ م) ويكفى فى هذا المقام أن نشير الى الكتاب الذى أصْدره الشاعر (دى بللى Du Bellay) عضو هذه الجماعة بعنوان (دفاع عن اللغة الفرنسية) ، فقد ندد فيه الشــاعر بأولئك الذين يكتبون

الى الشعب الفرنسي باللغة اللاتينية ، ويتجاهلون لغته التى تحددت قسماتها وتأثرت بها أذواق الجماهير ، وأهاب بالشعراء والناثرين أن يستعملوا اللغة المحلية مع تطويرها فى نطاق المفردات ، اما بالاقتباس من اللغات القديمة ، واما بصقل الالفاظ التى يتحدث بها الشعب صقلا يجعلها صالحة فى الاستعمالات الادبية .

وهذه الظاهرة التى تناولت مادة الادب من ناحية الالفاظ نراها تتجدد فى نطاق الموضوعات والنماذج التى يقصد اليها الاديب فى فنه ، فقد شهد مطلع القرن التاسع عشر الميلادى حركة قوية لصرف الادباء عن استلهام النماذج الاغريقية واللاتينية القديمة ، بتوجيههم الى ان يتخذوا من مشاعرهم — فى ارتباطها بمجتمعهم الذى يعيشون فيه — مصادر الهامهم ، وقبلة آدابهم ، فاستقام للبيئة بهاتين المحاولتين أن تطبق قانونها ، وتفرض نظامها على الفن الكلامي كما اشرنا اليه فى مطلع هذا الحديث .

□□□

ونحن حين نحسن الظن بالادعياء فى الادب العربى ، نعترف لهم بأنهم يعلمون بعض هذا أو كله ان ارادوا ، فاننا لن نخسر شيئا اذا صدقناهم فيما يدعون ، وربما نكسب بهذا التصديق راحة من عناء الجدل ، واعراضا عن ملاحاة الجاهلين . . واذن فمن الاحسان لأنفسنا أن « ننبذهم » بالعلم ، أو « نتهمهم » بالمعرفة ، وأن نعود لنستغفر الله على ما فرط منا فيما قدمنا من حديث مقتضب عن الآداب اللاتينية فى غرب أوربا ، لأنهم يعرفون أخبارها كما يعرفون أنفسهم ، ويعشقون آثارها عشقا يملك عليهم قلوبهم وعقولهم جميعا ، فعالمهم وجاهلهم فى ذلك سواء . . !! والذين لا يجيدون منهم لغة أوربية — وهم كثرة — يعشقون تلك الآداب على طريقة الشاعر بشار بن برد الذى اهتدى بحسه المرهف الى « أن الاذن تعشق قبل العين احيانا » .

والادعياء فى الادب العربى حين علموا أو سمعوا بالتطور الذى احدثته البيئة فى الآداب اللاتينية ، تنادوا مسرعين الى اعلان ثورة عارمة على كل ما هو عربى قديم ، متذرعين بأن التطوير فى مجال الشعر العربى وانقاذه من تبعية « الخليل بن احمد » مما تقتضيه روح العصر ، وتفرضه قوانين البيئة . . !!

وقد ذكرت بهذا قصة ذلك المخبول الذى رأى مريضا يشكو الما حادا فى عينه ، فقال له : ولم تحتمل كل هذه الآلام ، ولا تصنع صنيع اخى حينما كان مريضا فى العام الماضي ؟ فتجدد أمل الشفاء عند المريض ، فسأله — وهو لا يعلم أنه مخبول — : وماذا صنع اخوك ؟ فقال : كان يشكو من ضرس ، فلما خلعه استراح وذهب عنه الالم !!

واصحابنا — عافاهم الله — لا يعلمون أن هناك ذوقا عربيا قد استراح منذ نشأة الشعر حتى الآن الى الموسيقى التى ضبطها الخليل فى عروضه ، فاستطاع بهذا النغم الرتيب أن يفرق بين جنس الكلام ، وأن يعرف الشعر بموسيقاه وتآلف الحانه ، وأن يهتدى الى النثر بما عرف له من مزايا وصفات ؛ وبهذه المزية اصبح الذوق العربى العام هو الحكم الذى لا راد لحكمه ، والقاضى العدل الذى لا ينقض قضاؤه .

وأصحابنا هؤلاء قد تعبوا وأتعبوا فى الدعوة الى (الشعر الحر) ، كأن الشعر من قبلهم كان مستعبدا فحرروه !! فلعلهم راجعون الى صوابهم حين يستمعون الى هذا الحديث ، فأما اذا أصموا آذانهم عنه فان واجب القراء على يقتضينى أن أوضح لهم المقام ، لأن من بين القراء شبابا عربيا تعقد عليه العروبة آمالا كبارا ، وترتقب منه سدادا فى الفكر وعمقا فى الفهم .

□□□

قد اطمأن الذوق العربى من لدن المهلهل بن ربيعة وامرىء القيس حتى يومنا هذا الى الموسيقى السارية فى الشعر ، فأحبها حبا شديدا يحسه كلما عابثت وجدانه ، أو حركت فى جوانب نفسه نشوة لا تعدلها نشوة ، وقد ضبط فن العروض ببحوره المختلفة أوتار المعزف الذى يعزف عليه شعراء العربية ، فتتابعت الالحان شجية ساحرة لا نشاز فيها ولا اضطراب ، وربما دعت الحاجة الملحة الى اضافة وتر جديد الى المعزف او اهمال آخر على الا يخل ذلك بالانسجام العام فى تعاطف اللحون ، وتآخى الالحان ، وهذه الحقائق يعرفها كل من عرف طبيعة الشعر فى لغته أو فى غير لغته ، وهى من قبل ومن بعد حقائق ثابتة ثبوتا لا يقبل الجدل أو المناقشة .

والحق أن المقام يحتاج الى استعراض سريع لما طرأ على هذه الموسيقى الشعرية ، من تعثر فى الأوزان ، أو بذل المحاولات فى استحداث موسيقى جديدة ، لندرك أن أصحاب « الشعر الحر » من شعراء التفعيلة فى عصرنا مقلدون فى أسوأ ما يكون فيه التقليد ، ولنستيقن أن بينهم وبين التجديد الذى يدعون اضعاف ما بين السماء والارض :

— ١ —

فالشاعر الجاهلى « عبيد بن الابرص » معاصر لنشأة الشعر العربى كما يقول الجاحظ فى كتابه الحيوان ، وكان ينبغى أن يغتفر له النقاد العرب اضطرابه فى الوزن الشعرى ، ولكن محمد بن سلام الجمحى يعيب شعره بقوله : « وعبيد ابن الابرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لا اعرف له الا قوله :

اقفــــر من اهـــــله ملحـــوب فالقُطبيَّـــــات فالذنـــــوب

ولا ادرى ما بعد ذلك .

وقصيدة عبيد هذه تكاد تشبه النثر فى كثير من أبياتها ، وهى لا تلتزم بحر البسيط الذى نظمت عليه ، ولهذا يقول الشاعر أبو العلاء المعرى :

وقد يخطىء الرأى امرؤ وهو حازم كما اختل فى وزن القريض (عبيد)

فاختلال الشعر بميله عن النغم الموسيقى الذى يستسيغه الذوق العربى من الامور التى تخرج به عن مجال الفن الشعرى ، حتى لو كان صادرا من شاعر شهد حداثة الشعر مثل عبيد .

والنزوع الحقيقى الى ابتكار اوزان جديدة فى المجال الشعرى ما نجده عند فحول الشعراء العباسيين أمثال أبى العتاهية ومسلم بن الوليد ، فقد دفعهم تنوع الاغراض الشعرية واتساع آفاقها الى استحداث انغام تلائم البيئة الجديدة وميلها بالاذواق الى الرقة والخفة ، فهذا أبو العتاهية يستجيب الى نغم يراه منسجما من توالى صوت المدق وضرباته المتعاقبة فى دكاكين القصارين ، فيحاول محاكاة ايقاعاته فى شعر جرى على لسانه ، فيقول :

للمنـــون دائرات يدرن صرفهـــا
حتى ينتقيننـــا واحدا فواحـــدا

والوزن كما نرى لا صلة له ببحور الشعر المعروفة ، ولكن الشاعر نظم به نزوعا منه الى اقرار مبدأ الحرية للشعراء فى ابتكار الاوزان الملائمة التى تستسيغها أذواقهم ، وهذا منهج حسن من حيث المبدأ ، لان تقييد الشاعر يخمل موهبته الفنية ، ومع هذا فان على كل شاعر — بالغا ما بلغ — حين ينزع الى

التجديد أن يلائم بين فنه والذوق العام الذى يقدم له نتاجه ، وتلك هى القاعدة التى حاول أبو العتاهية أن يتمرد عليها ، فقد لامه أهل الذوق فى عصره على انه يقدم للجمهور شعرا لا تستريح اليه أسماعهم لاضطراب موسيقاه ، فلم يجد الشاعر الكبير ما يقوله لهؤلاء المعترضين اكثر من تلك الدعوى العريضة التى لا تقنع احدا ، فهو عند نفسه كما قال للساخطين على تجديده : « أنا أكبر من العروض » !!

وأخذ شعراء الفرس زمن العباسيين يتجهون الى ابتكار الاوزان باستعمال ما يرونه مناسبا من النغم الفارسى المستعمل فى شعر تلك اللغة ، فاستعملوا فى العربية « الدوبيت » ، و « السلسلة » و « القوما » و « المواليا » و « كان كان » ، وقد عكس بعضهم بحور الخليل بن احمد ونظم بها شعرا غريبا ساغته أذواق ، وانصرفت عنه أذواق ، فمن ذلك قولهم فى مقلوب بحر المديد :

من لقلبى العامرى ... بالذى يتمنى من وصال القصى

— ٣ —

وفى الأندلس كثرت الدواعى الى التجديد فى الميزان الشعرى ، اذ بلغ الولع بالغناء اقصاه ، فاحتاج الشعراء الى نوع من القصيد يساير الغناء ويلاحق ضروب الأنغام المستحدثة ، فتعلقت همم الكبار من شعراء الأندلس الى ابتكار أوزان جديدة فكانت « الموشحات » .

وأول من اقتحم هذا الميدان الشاعر المجيد مقدم بن معافر الفريرى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وتبعه احمد بن عبد ربه المتوفى عام ٣٣٨ هـ ثم برع فى هذا النمط الجديد عبادة القزاز المتوفى عام ٤٢٢ هـ .

وهذه المحاولة الأندلسية لم يكن من غايتها نبذ القديم ، أو الخروج من دائرة الذوق العربى ، وانما كان غايتها توسيع نطاق الفن العربى ، واسباغ شىء من الخفة والرقة على مقاطعه وأوزانه .

ولعل فيما يقرره عبد الرحمن بن خلدون اشارة الى ان الشعر بلغ فى البيئة الأندلسية مبلغا عظيما ، مما حمل الشعراء على الاستزادة من الأوزان ، يقول ابن خلدون :

« وأما أهل الأندلس ، فلما كثر الشعر فى قطرهم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ من التنسيق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون فيه فنا سموه « الموشح » ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ، يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة » .

— ٤ —

والتجديد فى الأوزان الشعرية امنية راودت عزائم فحول الشعراء فى مختلف العصور ، ومن حق هؤلاء الفحول أن يرسلوا فى قصائدهم نغما جديدا ، لأنهم اهل حذق وذوق وبصر ، وهم أصحاب حاسة فنية لا تتأتى لغيرهم ، فاذا أبيح لهم أن يجربوا وزنا حسبوه شجيا ثم عدلوا عنه بعد محاولة أو محاولتين فليس لهذا من معنى الا انهم وهموا أولا فى استقامته واعتداله ، فلما تبين لهم عوجه واضطرابه ونبوه عن الأذن أنكروه ، ولم يأنسوا اليه ، وهذا ما نجده عند باعث الشعر الحديث محمود سامى البارودى ، وما نطالعه عند شوقى وخليل مطران .

ففي ديوان البارودى قصيدة واحدة تجرى على وزن اخترعه الشاعر وليس لها ثانية فى سائر شعره ، لأنه — فيما يبدو — آثر السلامة ورجع الى طبعه الشعرى الذى لم يخذله أبدا ، فمن أبياتها قوله :

املأ القدح — واعص من نصح
وارو غلتى — بابنة الفرح
فالفتى متى — ذاقها انشرح

وقد تبعه شوقى فى قصيدته المشهورة التى مطلعها :

مال واحتجب — وادعى الغضب
ليت هاجرى — يشرح السبب
عتبه رضى — ليته عتب

وأما خليل مطران فقد خرج فى القصيدة الواحدة الى أوزان عدة متأثرا بطبع الأندلسيين فى الموشحات ، وربما يعمد الى وزن مبتكر ليقحمه فى تلك الاوزان المعروفة لنا ، وخير مثال لهذا ما نراه فى قصيدته التى عنوانها « نفحة الزهر » فقد استهلها ببيتين من مجزوء الكامل وهما :

باسم المليكة فى الازاهر — ذات الجلالة والبهاء
يهدى اليك بيان شاعر — أزكى التهانى والدعاء

ثم يعدل فى هذه القصيدة الى وزن آخر من بحر الرمل فيقول :

انظريها تجديها زهرا — واقرئيها تجديها فكرا
تلك اشباه المنى فى لطفها — لبست حسنا فجاءت صورا

ولكنه قبل أن ينتهى منها يلجأ الى وزن مبتكر فيقول :

قالت الوردة ذات النهى — والامر فى الزهر
يا وصيفاتى بنات النور — والعطر فى الفجر

ولعلنا لا نأسف كثيرا على هذه الجولة السريعة فى تراثنا القديم والحديث ، فقد استعرضنا فيها مواقف التجديد الاصيلة التى حاولها فحول من شعراء العربية ، نعرف لهم موهبة وحذقا فى فنون اللغة ، ورواية وفهما لأدبها ، وما يتصل به من قواعد وقوانين ، وتلك فائدة قد تعوضنا كثيرا عما سنفقده بالحديث عن شعراء التفعيلة والدعاة الى الشعر الجر ، أولئك الذين ينبذون ما نعرفه لشعرنا العربى من ضوابط ، أو الذين يتخففون من قواعده عالمين بها أو جاهلين .

ومجمل دعوة هؤلاء تنحصر فى الثورة على القوانين التى وجهت الشعر العربى وجهته المعروفة منذ نشأته حتى الآن ، والانتقاض على الميزان العروضى ، والتخلص من قيد القافية ، ويحتجون لهذا : بأن الحياة متطورة وأن موضوعات الشعر مرتبطة بهذا التطور ، وأن مشاعرهم فى حاجة الى الانطلاق مع ركب الزمن المجد فى سيره ، وأن احساسهم بجمال الطبيعة ينزع بهم الى معانقة أشواق الحياة وتأمل المستقبل ، ولا سبيل الى ذلك الا بالحرية فى التعبير ، واطراح كل المعوقات التى تكمن فى أوزان الشعر وقوافيه المأثورة .. !!

وهؤلاء الأغرار يحسبون أنهم بهذا الهدم دعاة تجديد وأساتذة مذهب مبتكر ، لأن أحلام اليقظة تخيل لأصحابها أوهاما أخطر مما يظن الظانون ، فمنطقها يقوم دائما على اهتبال ما يلوح لها أنه نتائج لمقدمات وهمية لا ترقى اليها العقول ، لأنها خارجة عن نطاق الأفكار .

وقد يصبح وهم التجديد لديهم عقيدة ثابتة حين تحتضنهم وسائل الاعلام فى بعض الأقطار العربية ، وحين تساندهم هيئات ذات طابع تجارى أو مذهبى فى أقطار معروفة ، ونحن — مع هذه القوى المتساندة — لا نجزع على مصير شعرنا العربى لا فى حاضرنا ولا فى مستقبلنا ، فان استساغة الأذواق العربية الأصيلة لمثل هذا الغثاء أمر نراه بعيد الاحتمال فضلا عن حدوثه وتأثر الأذواق به .

فاذا قيل لهؤلاء المتشاعرين : ان ما تذيعونه فى دواوينكم وثيق الصلة بالنثر المضطرب والانشاء الضال ، وليس له أدنى صلة بالشعر ومفهومه الفنى ، أجابوا : بأن له من الشعر وزن « التفعيلة » الواحدة من البحر الواحد العروضى ، وفيه من مفهومه موسيقاه المطردة فى وجدان الشاعر الحر مصورة فى المقاطع ، ومنتشرة فى تمطيط الحروف حينا ، والهمس بها حينا آخر حسبما يقتضيه الحس الشاعر !!

وما أثبتناه فى مستهل هذا البحث يبطل ما زوروا من حجج ، وارتجلوا من براهين ، وتوضيحا لذلك نشق على أنفسنا بدراسة عابرة لجوهر المشكلة ، وهى دراسة كما يقول الاستاذ العقاد خليقة « بالدراسة ، كما يدرس العلماء عوارض الامراض والعلل والنكبات ، على أنها خليقة كذلك الا تحمل طابع القدوة والاحتذاء .

ونحن نعرف أن موضوعات الشعر متطورة مع الحياة دون حاجة منا الى تصريحات « هيئة الشعر الحر » فكثيرا ما أتعب مؤرخو الأدب أنفسهم فى دراسة ما طرأ على الشعر فى مختلف العصور من ظواهر وتغييرات أثرت فى ألفاظه وموضوعاته وأوزانه ، والفحول من شعراء العربية لم يصادفوا مشقة تذكر فى الملاءمة بين فنهم وبين تلك الحياة المتجددة أبدا ، فالشعراء من أمثال بشار بن برد ، وأبى نواس ، وأبى تمام ، وابن الرومى ، والمتنبى ، لم يتمردوا يوما على ميزان الشعر بحجة أنه قيد يحول بينهم وبين ما يريدون الافصاح عنه ، بل انهم استطاعوا أن يوقظوا الحياة فى قصائدهم ، وأن ينشروا صور الطبيعة جديدة فيما نقرأ لهم ، ولم يحدثنا علماء النفس أن بشارا مثلا مات وفى نفسه شيء من العروض ، ولم يشر ناقد الى أن التزام الوزن سد على شاعر قدير منافذ الخيال ، أو قعد به عن تلقف الخاطرة التى قد تسنح لفكره من بعيد .

والبحور العروضية لا تغيض أمام السابحين المهرة ، ولا تقذف بهم على شطآنها ، وانما تشد الى قيعانها أولئك الذين لا يحسنون السباحة أو الذين يحسنونها فى المياه الضحلة التى تركد فى البرك وتسيل فى الغدران ، فالملكة الأصيلة قادرة أن تنظم — فى يسر — صور الحياة المتكاثرة فى لحون شعرية لها من الوزن سحر الموسيقى ومن القافية حسن الايقاع الرتيب .

والعجز عن تلك المساوقة الفنية لا يرادفه الا فتور فى الموهبة ، وكلال فى نهج البيان ، ومن ثم يصير تجديد العاجزين أسوأ من تقليد القادرين .

على أن هناك فرقا بين قوانين الفنون وبين القيود التى تطرأ عليها ، فانتظام الموسيقى فى القصيدة العربية قانون التزمه الذوق العربى ، وقاعدة

تحد مفهوم الشعر منذ جرى على الألسنة ، وبهذه الموسيقى المتطورة استقل الشعر عن النثر ، وصار قسيما له فى الفن الكلامى ، فأما القيود فهى التى لا تتصل بطبيعة الفنون ولا يتوقف عليها المدلول الحقيقى لجوهر الفن ، وانما تعرف طريقها اليه بوسائل خارجية ذات علاقة قريبة أو بعيدة فى التوافق أو التنافر بمفهومها الذى يحدد قسماتها ويفصح عن ملامحها الاصيلة ، وعلى سبيل المثال فان الاهابة بالشعر ان يلتزم غرضا واحدا يعتبر قيدا له ، وعلى الشاعر حينئذ أن يحطم هذا القيد ويستعلى عليه ، وان يسلك بفنه المسلك الذى يراه قريبا الى طبعه ولصيقا بوجدانه ، فتنوع الاغراض والموضوعات يمنحه الحرية الكاملة فى اختيار ما يلائم تكوينه الفنى ، واذن فلا معنى لأن يسلب هذه الحرية ويحرم من حقه فى الاختيار .

ومن هنا يظهر بطلان ما يروج له شعراء التفعيلة من وجوب التخلص من الوزن والقافية لأنهما قيد « للحرية الفنية » وتعويق للموهبة عن الافصاح والتصوير ، فاذا شئنا أن نسمى الأشياء بأسمائها ، فان دعوتهم تلك ليست الا أمنية ساذجة يراد منها ابطال الفن الشعرى جملة ، لأنهم يهيبون بالشعراء أن ينفصلوا عن أخص ما نعرف له من قوانين وقواعد ، ولكن تشبثهم بالتزام « التفعيلة » من البحر العروضى يشير الى الحقيقة الثابتة دون أن يصرحوا بها ، وتلك الحقيقة هى أنهم مرغمون على الاعتراف الضمنى بأن : الميزان الشعرى قانون وقاعدة فيما يسميه العقلاء شعرا ، وما أشبههم فى هذا بالطفل الذى يلح على والده أن يشترى له حلوى يشتهيها .. فاذا زجره أبوه ، وهم بالانصراف دونه ، تعلق الطفل بأطراف ثوب والده .. وعينه تلتهم الحلوى من بعيد ، فاذا شاء « الشاعر الحر » أن يرى فى القوانين الشعرية قيودا ، فيرسل أحاديثه على غير قاعدة ، فخليق به عندئذ الا يزعم للعقلاء — ما يزعمه لنفسه — أنه شاعر ، وحسبه عندنا أنه صاحب فن « مشكل » لا هو من قبيل الشعر .. ولا هو من قبيل النثر .

فأما اهمالهم للقافية التى تستريح لها الأذن فليس لديهم تعليل شاف لهذا الاهمال المعيب ، فما تكاد تقرأ لهم الا مقطوعات مختصرة كل الاختصار قد اختفت فى سراديبها الأفكار ، وشاهت الصور فى معارضها ، ولو انهم تعلقوا بنظم القصة الطويلة ، لكان لهم مندوحة فى العدول عن حرف الروى ، لأن القافية مهما اتسعت مادتها وكثرت مرادفاتها لا تتسع لهذا اللون ، الذى يستدعى آلاف الأبيات حتى تصل القصة الى نهايتها ، ولكن أكثر ما لهؤلاء — كما نقرأ لهم — مقطعات وسطور تقصر أو تطول حتى تتساوى بالنقط . وعلامات التعجب والاستفهام .. !!

ولو أن أصحابنا هؤلاء سلكوا سبيل الموهوبين فى استخدام « الرجز والتوشيح والتسميط » لأغناهم ذلك عن قيد القافية فى المسرحيات والقصص .

واذا سلمنا لهم ان الموسيقى الشعرية متحققة فى استعمال التفعيلة والتزامها ، فان من حقنا أن نسأل عن سر هذا الاختزال وغايته ، فاذا كان من غايته توفير الحرية للشاعر كى يتاح له تصوير دقائق الفكر واستيعاب « أشواق الحياة وترانيم المستقبل » كما يزعمون ، فان قصيدة واحدة من شعرهم المترنح كافية فى اقناعنا أنهم قد جددوا فى شكل الشعر أو فى مضمونه بما تحمل من شكل جديد أو مضمون مبتكر .. فأما حين يصبح منهجهم الذى يتنادون به وسيلة من وسائل العبث والسخرية بالعقول ، أو يصير الى تقليد المحدثين من شعراء أوربا .. فان الأقلام العربية مسئولة عندئذ عن حماية الأذواق ، وتنبيه الناشئة من أبنائنا الى ما وراء هذا العبث من هدم أو ارتزاق .

مائدة القارئ

اعدها : ابو نزار

النفيـــر النفيـــر

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيـــاة الدنيا فى الآخرة الا قليل » .

الحـــريه

ولا يقيم على خسف يـــراد به ... الا الاذلان عيـــر الحي والوتـــد
هذا على الخسف مربوط برمتـــه ... وذا يشـــج فلا يرثى له أحـــد

منهج تربيـــة وخطـــة دراســـة

عهـــد الرشيد الى الاحمر النحوى بتعليم ابنـــه الامين ، ووضع له منهج تربيته وخطة دراسته فكتب اليه :

يا احمر : ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسـه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين .

اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسـه ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ، فيســـتحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباها فعليك بالشدة والغلظة .

ابراهيم واسماعيل

قال ثعلب فى أماليه : الاسماء الاعجمية لا تعرف العرب لها تثنية ، ولا جمعا .

فأما التثنية فتجىء على القياس . مثل ابراهيمان واســـماعيلان ، فاذا جمعوا حذفوها فردوها الى أصل كلامهم ، فقالوا أباره ، وأسامع ، وصغروا الواحد على بريه وسميع .

التاريخ فى العهد النبوى

قال أبو الريحان البيرونى فى كتابه الآثار الباقية :

كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمون كل

سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها له عليه الصلاة والسلام .

فالاولى بعد الهجرة سنة الاذان ، والثانية سنة الامر بالقتال ، والثالثة سنة التمحيص ، والرابعة سنة الترفئة ، والخامسة سنة الزلزال ، والسادسة سنة الإستئناس ، والسابعة سنة الاستغلاب ، والثامنة سنة الاستواء ، والتاسعة سنة البراءة ، والعاشرة سنة الوداع ، فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة .

المد يحمل البريد

لم يكن لجزيرة (سنت كيلدا) بشمال سكوتلندا بانكلترا مواصلات للبريد انما الذى يحمل بريدها هو مد البحر . ولذلك كانت تجمع الخطابات منها فى أوعية من الصفيح ومعها النقود المقابلة لما يلزم لها من طوابع . ثم تلقى هذه الأوعية فى البحر مربوطة بعوامات من جلد الماشية ، ويعلق بها قطع من الخشب طافية ويكتب عليها بريد (سنت كيلدا) الرجاء فتحه .

وتحمل تيارات البحر معظم هذه الرسائل الى (جزائر شيتلان) ومنها تحملها بواخر البريد الى انكلترا .

ذكاء معاوية

يروى أن عبد الرحمن بن حسان الشاعر شبب بابنة معاوية ، وبلغ ذلك ابنه يزيد ، فغضب ، وطلب من أبيه أن يقتله ، فقال له معاوية : لا ولكن أداويه بغير ذلك .

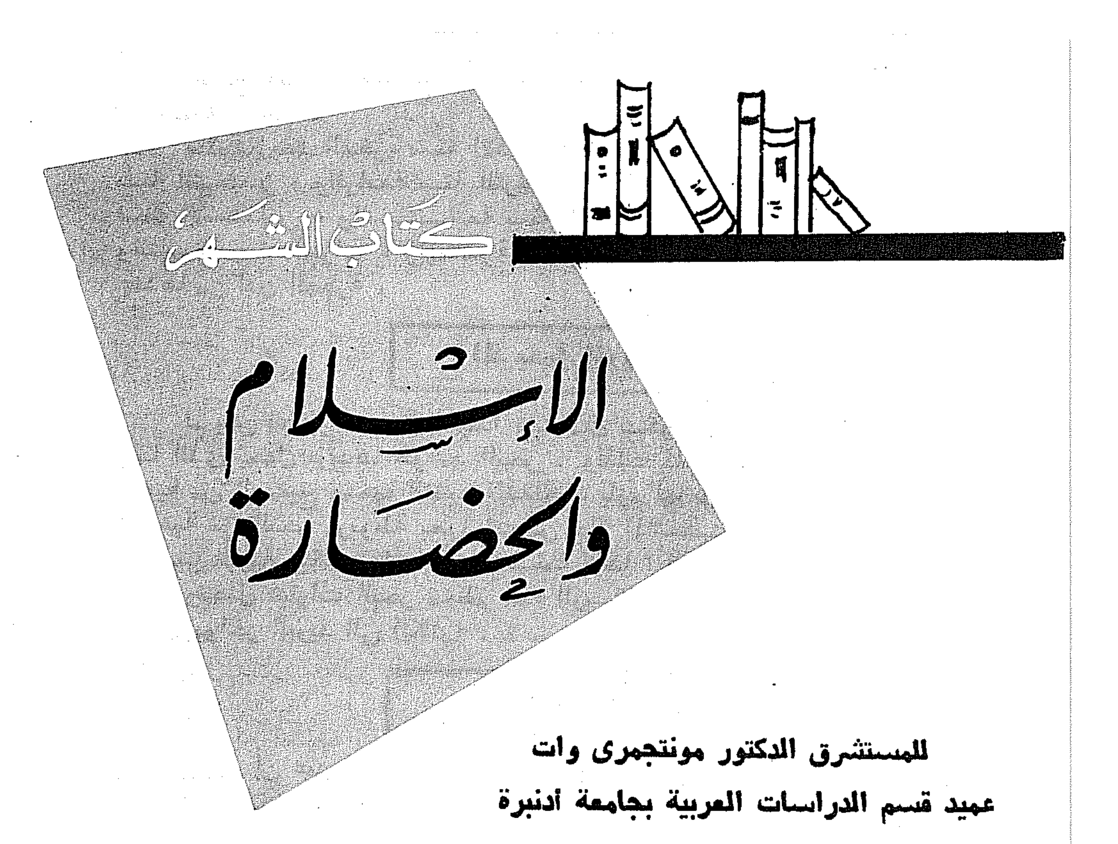
ثم دخل عبد الرحمن على معاوية فأكرمه واستقبله أحسن استقبال ، وقال له : ان ابنتى الأخرى عاتبة عليك ، قال : فى أى شىء ؟ قال : فى مدحك أختها وتركك اياها قال : فلها العتبى وكرامة . انا ذاكرها ، ولم يكن لمعاوية غير بنت واحدة فخرج عبد الرحمن واخذ يشبب بالبنت الثانية ، وبلغ شعره الناس ، فعرفوا كذبه .

البيت الفنى

لما ولى المنصور الخلافة لقيه احد معارفه القدامى وكان فقيرا ، فسأله المنصور : ما عيالك ؟ قال : ثلاث بنات والمراة وخادم لهن ، فقال له : انت أيسر العرب . أربع مغازل يدرن فى بيتك ، ولم يعطه شيئا .

أخلاق الخلفاء

قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوما ، فنادى بالخادم : يا غلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانيا وصاح : يا غلام ، فدخل غلام وهو يقول : ما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟! كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام . يا غلام الى كم يا غلام !! فنكس المأمون راسه طويلا ، فما شككت أن يأمرنى بضرب عنقه ، ثم نظر الى وقال : يا عبد الله : ان الرجل الذى حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه ، وانا لا نستطيع إن تسوء أخلاقنا لتتحسن أخلاق خدمنا .



للمستشرق الدكتور مونتجمرى وات
عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرة

عرض ومناقشة للأستاذ : عبد الحميد فرحات

ينبغى أن ننظر بتحفظ شديد الى كل ما يصـــدر فى مكتبات الغرب عن الاسلام ، وينبغى أيضا أن نتخذ أمام هذه المؤلفات الغربية موقفا واضـــحا ومحددا يختلف بالطبع من كتاب الى كتاب ومن باحث الى باحث . ويمكن أن يقال بصفة عامة أن الكتب الغربية عن الاسلام تتحرك فى اتجاهات ثلاث . .

هناك أولا . . اتجاه يعرف أصحابه ــ وما أقلهم ــ حقيقة الدين الحنيف ، ويقومون فى أمانة العلماء ونزاهتهم بتسجيل ما للدين الاســلامى من مميزات وفضائل ، وعلينا أن نستفيد ببحوثهم ونترجمها الى العربية ، ونستقدم من كان منهم على قيد الحياة الى بلادنا للتعارف والتباحث .

وهناك ثانيا . . اتجاه يعرف أصحابه ــ وما أكثرهم ــ الحقيقة ، ويقومون بتشويهها وتلويثها ، بدافع من سوء النية والتعصب الموجه بالدرجة الاولى الى المسلمين العرب ، وعلينا التحرك السريع المدروس بغير انفعال أو تشـــنج للكشف عما فى افـــكارهم من ســخافات وتفاهات ، بمقارعة الحجة بالحجة ، والرأى بالرأى ، وفضح ما خلفها من سوء نية وتعصب ، لأن السكوت والتزام الصمت أمام هذا اللون من الكتابات هو بلا شك ضدنا ، وليس لصالحنا .

وهناك ثالثا . . اتجاه يرفض أصحابه ــ وما أخطرهم ــ كل الأديان ، ومن بينها الاسلام بالطبع ، وعلينا الاسراع بمحاصرة هذا النوع من الكتب فى أضيق نطاق ، وفى الوقت نفسه نصدر من جانبنا ما يناهض هذا الاتجاه ويقضى عليه ، ويقلل من أخطاره .

ويصبح هذا التحفظ الذى اشرت اليه ، اكثر ضرورة ، واشد الحاحا فى كمه وكيفه ، اذا أدركنا الدور الخطير الذى تقوم به الصهيونية والاستعمار العالمى خلف كل كلمة تكتب ضد الاسلام هناك ، وهو الدور الذى توظف وتوجه فيه امكانيات لا حدود لها بهدف تدمير المقدرات الروحية والخلقية للانسان المسلم .

أما الكتاب الذى أقدمه اليوم لقارىء « الوعى الاسلامى » فيقع فى الاتجاه الأول ، وصاحب هذا الكتاب الاستاذ الدكتور مونتجمرى وات M. Watt عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرة . ولقد أصدر الاستاذ وات فى عامين متتاليين كتابين عن الاسلام ، أما الكتاب الأول فهو « الاسلام والجماعة المتحدة » Islam and the United Group الذى صدر فى فبراير عام ١٩٦٦ ، ومن يريد معرفة شىء عن هذا الكتاب الرجوع الى بحث أستاذنا الراحل العقاد « ما يقال عن الاسلام » ، ففيه من التلخيص والتحليل عن هذا الكتاب ما يفيد .

وأما كتابه الثانى وهو موضوع هذا المقال فهو « الاسلام والحضارة » Islam and Culture والذى صدر فى مارس ١٩٦٧ م .

ويقول العقاد — رحمه الله وعوضنا عنه — عن المستشرق وات : لقد كان لهذا الرجل فضل تفسير التاريخ الاسلامى بالكشف عن دور العامل الاقتصادى جنبا الى جنب مع العوامل الروحية والاجتماعية .

وأود أن أضيف الى ما رآه العقاد بأن هذا الرجل مفكر موسوعى ، قد سلح نفسه بقدر كبير من الثقافة فى مختلف فروع المعرفة ، غير أنه يستقطب دائما كل روافد ثقافته كى تصب فى مجرى التخصص الرئيسى الذى أراده لنفسه ، وهو الدراسات العربية والاسلامية ، ولهذا تلتقى فى مؤلفاته بالكثير من لمسات الفيلسوف ، وعالم النفس ، والمؤرخ ، والجغرافى ، وهؤلاء جميعا يلتقون وينصهرون فى رجل واحد جعل اثبات ما للاسلام من فضائل هدف أهداف حياته .

وثمة فضيلة اخرى لهذا الأستاذ المستشرق ، فلقد روعه العدوان الصهيونى الأخير على أرض (القداسات) كما يسميها ، ومن ثم رفض العدوان ، وكتب يفضح الصهيونية ، وانطلق لسانه بين زملائه وأصدقائه وتلاميذه يقول قولة الحق ، وحتى وصل به ايمانه بالقضية العربية الى حرج موقفه مع ادارة الجامعة التى أنذرته بالطرد .

وبهذا الموقف المشرف يكون الاستاذ مونتجمرى وات ثانى مفكر انجليزى حر يقف بجانب الحق العربى ، ويكون قد سبقه على نفس الطريق المؤرخ الانجليزى صديق العرب المنصف « توينبى » الذى وضع قضية اسرائيل كلها فى مهب الرياح بمناظرته المشهورة مع (باكوف هيرزوج) سفير اسرائيل فى كندا صباح يوم ٣١ يناير عام ١٩٦١ .

وكتاب الأستاذ وات هذا « الاسلام والحضارة » بحث طيب يسجل فيه صاحبه الدور الحضارى للدين الحنيف ، وبرغم أن هذا هو الموضوع الرئيسى للكتاب ، الا أن المؤلف قد نثر فوق صفحاته العديد من التفاصيل الفقهية الدقيقة ، والكثير من المقارنات العديدة بين الأديان . وهذا الذى فعله المؤلف يجعل من محاولة تلخيص الكتاب ومناقشته فى صفحات معدودة مسألة عسيرة بل وقليلة النفع . الا أن هناك ثلاث قضايا عنى بها المؤلف ، وجعلها تسير

متوازية على امتداد صفحات كتابه ، والأصوب والأفيد أن نقف أمام قضاياه الثلاث ، لنرى من خلالها كيف يفكر الرجل ، وكيف يثقب بفكره كل محاولة لتشويه الحقائق .. وسط ظروف تبدو الحقيقة داخلها — أية حقيقة — كتجارة بائرة ، يحل بالمشتغل بها الفاقة الأبدية .. !!

انسانية الاسلام

ثمة ادعاء يقول أن أى دين له خواص وسمات محلية ، وانه يؤدى مهمته فى حدود هذه الخواص والسمات فقط ، ولقد جعل الأستاذ وات قضيته الاولى فى ابطال هذا الادعاء ، والقول بأن الاسلام هو خاتم الأديان ومن ثم فهو يصلح دائما مهما اختلف المكان أو امتد الزمان . وقد انطلق المؤلف الى هذا الهدف من مقدمة فلسفية خالصة مثلا : ان التصور الخالص يلزمنا بتصور أصل أو جذور أو نواة أو جوهر لأى شىء من الأشياء ، ولقد كان الدين على مر العصور هو جوهر الوجود ، أو كما يفضل تسميته بروح العالم Animamundi **وكما يتهاوى جسد الانسان بعد خروج الروح منه ، فان العالم ينهار اذا ما زال الدين منه ، أى أن العلاقة بين الدين والوجود خالدة خلود العلاقة بين الجوهر ، والعرض .**

ويدلل الأستاذ وات على مقدمته الفلسفية هذه باستعراض شامل لتاريخ الأديان أكانت ديانات منزلة أم غير منزلة ، أكانت تقول بتعدد الآلهة Polytheism أم تقول باله للشر وآخر للخير Ditheism أم تقول باله واحد لا شريك له Theism وخلال هذا العرض الشيق لتاريخ الأديان يضع المؤلف يد القارىء على حقيقة هامة ، وهى أن كل الديانات السماوية ما عدا الاسلام تحمل كل مبادئها وتعاليمها شكل التحذيرات والمواعظ Admonitions وليس فى هذا الشكل ما يعيب هذه الديانات التى كان يترك كل دين منها للدين الذى يليه مهمة شرح ما به من تحذير ووعظ ، وأن يكمل كذلك ما فيه من نقص . ولما كان الاسلام هو خاتم الأديان المنزلة — وهذه مسلمة لا يجب نقاشها — كان لا بد من اشتماله على كل فضائل الديانات السابقة ، وأن يزيد عليها ما يفيد البشرية مستقبلا . ولهذا يقول الأستاذ وات أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى تخطى مستوى المواعظ والتحذيرات الى مستوى تسجيله لجملة العقائد المشرعة Legal dogmas **وهو يعنى بهذا أن العقائد الاسلامية تصلح أصولا تستمد منها البشرية كل القوانين التى تسير حياتها .** ويضيف المؤلف الى هذا بأن الدليل على انسانية هذا الدين أنه قد نشر جناحيه فوق رقعة كبيرة من العالم ، وانه يكسب مع كل صباح جديد المزيد من المؤمنين به ، هؤلاء الذين بلغوا بحسب آخر احصاء خمسمائة مليون مسلم .

ولا يفوت هذا الباحث أن يقول هنا — فى عتاب الصديق — بان على الجهات الاسلامية المسئولة عن نشر الدين مضاعفة الجهد التبشيرى الذى تقوم به ، وأنهم لا يقومون — فى رأيه — بالجهد الكافى لانجاح مهمتهم ، وهو يذكر علماء الاسلام وفى مقدمتهم رجال الأزهر والأعضاء الدوليين بمجمع البحوث الاسلامية ، بأن هناك فى العالم مناطق واسعة ، لم يعرفها الاسلام بعد ، وهى مناطق يقع أغلبها ، فى آسيا وافريقيا على مقربة من الدول الاسلامية الرئيسية .

وهناك فى ختام دفاع المؤلف عن الاسلام وبيان انســانيته وصلاحيته فى الحاضر وفى المستقبل « هدية » يقدمها الرجل للمشرع الاسلامى فيقول : ان أسماء الله الحسنى Attributes of God بالعدد والشكل الذى جاءت به فى الاسلام تصلح لأن يستمد منها أى قانون انسانى ، وان تحليل القوانين مدنية كانت أو دينية يجعلنا ندرك أنها تحتوى على بعض ما فى أسماء الله الحسنى من دلالات ومعانى .

دين الروح والعقل

وفى القضية الثانية يناقش المؤلف موقف الاسلام من العلم والفكر ، وهو يفرد لهذه المسألة ثلاثة فصول مطولة بعنوان : « الاسلام ــ العقل والروح » Islam - Reason and Spirit وهو ينتهى من خلال هذه الفصول الى أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يؤاخى بين الروح والعقل ، والذى لا يرى تعارضا بين الدين والعلم ، ومن ثم أصبح الحديث عن خلاف العلم والدين فى العالم الاسلامى غير ذا أهمية بالمرة .

ويصل المؤلف ــ كعادته ــ الى هذه النتيجة بعد دورة كاملة حول قصة الخصومة الشهيرة بين العلم والدين . ومن البداية يعترف فى حزن عميق بأن اوربا المسيحية كانت منذ القرن التاسع عشر « الرحم » الذى تخلقت فيه كل صنوف الالحاد atheism وأن أوربا هى التى أصابت الشرق بهــذا الخطر الجسيم .

ويقول المؤلف أن خلاف العــــلم والدين قد رجع فى جوهره الى تعصب جمود رجال العلم من جهة ، ورجال الدين من جهة أخرى . فالعلماء قد تعصبوا ون العلمى ، رغم كونه نسبيا ، يصلح فى حدود ظروف معينة ، وظنوا أن منهجهم هو المنهج الوحيد للامســـاك بالحقيقة . ورجال الدين قد تعصـــبوا لعقيدتهم ، فلم يفرقوا بين الأصول والفروع ، وبين ما يصح فيه الاجتهاد وما لا يصح .

ويقول الأستاذ وات فى دهشة : لقد فات العلماء أن العـــلم بقوانينه ومنهجه يتعـــامل فى حدود معطيات facts العالم المـــادى ، وانه يفشـــل بالضرورة فى الوصول الى منشىء ، أو مبدع أو خالق هذا الكون Creator ومن نفس هذه النتيجة يصل المؤلف الى نتيجة أخرى ، وهى أن الاسلام لا ينظر الى الانسان بوصفه عقلا فقط ، بل من حيث هو عقل وروح وشعور feeling وارادة Will وجملة من القوى غير المنظورة ، يقال عنها الحاسة السادسة أو الحدس أو الالهام Intuition وأن الاسلام يحترم فى الانسان هذا كله ، ويدعوه الى استخدام كل طاقته للوصول الى الحقيقة فى مجال المادة ، وأيضا فى مجال ما وراء المادة .

ولا يمل الباحث على امتداد عرضه للموضوع من أن يؤكد رحابة الدين الحنيف ، وتشجيعه للعلم والفكر ، وأن يؤكد كذلك أن رجل الدين المسلم ، لم يكن فى تعصبه بالدرجة التى كان عليها رجل الدين المسيحى فى القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذى شــهد بداية الانتصـــارات العلمية فى علوم الفلك (كوبرنيكس) والحياة (دارون) وغيرها ، وأن يؤكد أيضـــا فى تفاؤل : أن القضية كلها قد أصبحت بالنسبة للدين الاسلامى تحل نفسها يوما بعد يوم ، وعن قريب سيأتى يوم تكون العلاقة بينهما لقاء فوق أرض المحبة والتفاهم التام ، ويكون هدفهما معا هو : اطلاق كل قوى الانســـان ــ كعقل وروح وارادة ، وشعور والهام الى ناحية الحقيقة المحدودة « العالم » وغير المحدودة « الله » خالق هذا العالم .

(بقية على صفحة ٨٦)





خلاء فى سرج مدينة طرسوس فى القرن الثانى للهجرة . يظهر فى الخلفية (الباكجروند) بعض أسوار المدينة وحصونها .

على الطريق الجادة يلتقى اثنان عليهما سيما الزهاد . كلاهما يحمل مزودة واداوته ويتوكأ على عصا . أما أحدهما فخارج من المدينة راحل عنها وأما الآخر فداخل اليها . الأول ابراهيم بن ادهم والثانى شقيق البلخى .

ابراهيم : السلام عليكم .

شقيق : وعليكم السلام ورحمة الله (ينظر اليه) اغلب الظن أنك من اهل خراسان .

ابراهيم : نعم أنا من خراسان .

شقيق : أنا ايضا من خراسان . من بلخ أتعرف بلخ ؟

ابراهيم : أنا من بلخ .

شقيق : (يعانقه بحرارة) أهلا وسهلا بأخي وابن بلدى . سائح فى أرض الله ؟

ابراهيم : بل فقير التمس رزقا .

شقيق : علام اذن لم تنزل بطرسوس ؟

ابراهيم : لم استطع ان اجد بها عملا يقيم صلبى فقررت الرحيل .

شقيق : ان لم تستطع أن تجد عملا فى طرسوس فلن تجده فى أى مكان آخر .

ابراهيم : انت مقيم فى طرسوس ؟

شقيق : لا ، ولكن لى فيها أحبابا وأصدقاء . ان شئت عدت اليها معى فدللتك على العمل الذى تنشده .

ابراهيم : شكر الله لك . انت ايضا رحلت من خراسان فى طلب الرزق ؟

شقيق : الرزق يا اخى فى كل مكان حتى فى بلخ .

ابراهيم : (يبتسم ابتسامة خفية للهجة الاعتداد بالنفس التى احس بها فى كلام شقيق) ففيم اذن هاجرت ؟

شقيق : ألتمس الطريق ..

ابراهيم : الطريق الى الله ؟

شقيق : هو ذاك .

ابراهيم : فالله موجود فى كل مكان حتى فى بلخ .

شقيق : (يحس بالوخز) هذا حق ، ولكن الوصول اليه يحتاج الى مجاهدة وسياحة من قبل الطالب .

ابراهيم : انت اذن من المجاهدين السائحين ؟

شقيق : أرجو الله ان يتقبل ويوفق .

ابراهيم : سمعت من بعض الصالحين أن المرء اذا أخلص سريرته تقبل الله منه ووفقه .

شقيق : هذا حق . نسأل الله ان يرزقنا الاخلاص .

ابراهيم : سمعت ايضا يا اخى ان الله لن يرزقنا الاخلاص الا اذا اخلصنا .

شقيق : هذا كلام نفيس . هيه يا اراك الا من المريدين . أنت سائح مثلى تلتمس الطريق .

ابراهيم : انا ماش فى الطريق .

شقيق : ان كان لى ان انصحك يا اخى فاياك والغرور .

ابراهيم : الغرور أحيانا فى ان تظن بغيرك الغرور .

شقيق : منذ كم سرت فى الطريق ؟

ابراهيم : منذ سبع سنين .

شقيق : انت اذن غير ملوم .

ابراهيم : وانت منذ كم ؟

شقيق : منذ عشرين سنة وما زلت فى اول الطريق .

ابراهيم : يقول الله تعالى (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) .

شقيق : هل لى ان اسألك ؟

ابراهيم : تريد ان تمتحننى ؟

شقيق : اذا اذنت .

ابراهيم : افعل .

شقيق : ماذا ترى فى مقامى الشكر والصبر .

ابراهيم : هل لى ان اسمع رايك اولا ؟

شقيق : انا ان وجدنا شكرنا وان لم نجد صبرنا .

ابراهيم : يا اخى هكذا كلاب بلخ ان وجدت شكرت وان لم تجد صبرت .

شقيق : فماذا تقول انت ؟

ابراهيم : انا ان وجدنا آثرنا , لم نجد شكرنا .

شقيق : (فى طرب وفرح وقد زال ما كان يجده من الحرج فى اول الأمر) الله . الله . انت الضالة التى انشدها ، الحمد لله اذ هدانى اليك . انت ابراهيم بن ادهم .

ابراهيم : (يتغير وجهه) وانت شقيق البلخى .

شقيق : عجبا . . كيف عرفت ؟

ابراهيم : كما عرفتنى انت .

شقيق : كلا انا لست مثلك يا بن ادهم . أنت رجل مشهور .

ابراهيم : قاتل الله اللسان . لا يوتى المرء الا من لسانه .

شقيق : اللسان اداة التسبيح يا ابن أدهم .

ابراهيم : ما نفع تسبيح اللسان اذا لم يسبح القلب ؟

شقيق : الله . الله . ائذن لى يا سيدى ان الازمك .

ابراهيم : بل ائذن لى يا سيدى ان اودعك .

شقيق : لم يا سيدى الاننى عرفتك ؟

ابراهيم : نعم .

شقيق : انى اعاهدك يا سيدى ان اكتم سرك فلا يعرفك احد .

ابراهيم : انك تريد ان تلازمنى .

شقيق : لا ، لن الازمك . بحسبى ان اجتمع بك بين الفينة والفينة ، فانى اعرف انك تنتقل من بلد الى بلد هربا من معرفة الناس لك .

ابراهيم : نعم .

شقيق : فسأكون لك عونا على التخفى والتنكر فلا يعرفك أحد . هلم بنا الى طرسوس . سأبحث لك فيها عن عمل يناسبك .

ابراهيم : ولا تدعونى باسمى ؟

شقيق : اقترح أى اسم لأدعوك به .

ابراهيم : ادعنى أبا اسماعيل الخراسانى .

شقيق : يا أبا اسماعيل أى نوع من الاعمال تختار ؟

ابراهيم : أى عمل ينأى بى عن الناس ، ولا يشغلنى عن ذكر الله .

شقيق : انى أعرف صاحب بستان فى الضاحية فما ترى لو تعمل ناطورا عنده فى البستان .

ابراهيم : عمل حسن . اذهب بى اليه .

فى البستان . بستان كبير . فى الخلفية يرى قصر صاحبه .

كوخ صغير على باب البستان يقيمه الناطور (ابراهيم بن أدهم) وأمامه مصطبة يجلس عليها وهو يذكر الله .

(يظهر شقيق البلخى)

شقيق : كيف وجدت المكان يا أبا اسماعيل ؟

ابراهيم : جزيت خيرا يا شقيق . لقد أحسنت اختياره .

شقيق : اذن فأذن لى أنصرف .

ابراهيم : الا تجلس قليلا . (يقدم كسرة خبز) شاركنى هذا الطعام .

شقيق : انا على الشرط يا .. يا أبا اسماعيل (يخرج) .

ابراهيم : الحمد لله . الآن أستطيع أن أقيم هنا ما شاء الله أن أقيم (يبدأ فى أكل الخبز) .

(تظهر امرأة فقيرة على باب البستان)

المرأة : عابرة سبيل يا سيدى . جائعة مستحقة أطعمنى مما أطعمك الله .

ابراهيم : خذى يا سيدتى . هذا رزقك أنت (يعطيها كسرة الخبز) .

المرأة : نصف رغيف . كل ما سخت به نفسك ؟

ابراهيم : ما عندى غيره . فاعذرى وسامحى .

المرأة : أعطنى شيئا من الفاكهة .

ابراهيم : ما عندى يا سيدتى .

المرأة : وهذا البستان كله .

ابراهيم : هذا لصاحبه وليس لى . انما أنا ناطور .

المرأة : اتخشى أن يحاسبك سيدك اذا قطعت لى تفاحة أو عنقود عنب ؟

ابراهيم : اذا عدت غدا فسأعطيك من الفاكهة بعد استئذان المالك .

المرأة : غدا ؟ لو استطيع أن انتظر الى غد ما مددت يدى بالسؤال . أطفالى فى البيت يتضاغون من الجوع .

ابراهيم : حسنا . انتظرى (يغيب قليلا ثم يعود ومعه تفاحتان وعنقود من العنب فيناول ذلك للمرأة) .

المرأة : جزيت خيرا .. لن يعلم بهذا أحد (تخرج) .

ابراهيم : (يتمتم) تفاحتان اثنتان وعنقود عنب . ما أظن ثمن ذلك يزيد على درهم واحد . فليأخذ منى درهما ونصف درهم على سبيل الاحتياط .

(بعد أيام من حوادث المشهد السابق)

ابراهيم : (لمعتوق وكيل صاحبة البستان) خذ هذا يا سيدى .

معتوق : ما هذا يا أبا اسماعيل .

ابراهيم : ثمن تفاحتين أخذتهما من البستان أمس .

معتوق : كل يوم تأخذ شيئا من البستان وتعطينى به ثمنا ؟ والله لا ادرى أنت ناطور عندنا أم تاجر ؟

ابراهيم : أنا يا سيدى ناطور .

معتوق : اسمع يا هذا . ان مالت نفسك الى شيء من البستان فكله ولا حرج عليك .

ابراهيم : كلا يا سيدى انى لا استحل ذلك .

معتوق : قد اذنت لك .

ابراهيم : ما يدرينى هل ترضى سيدتك مالكة البستان اذا علمت أم تسخط .

معتوق : ما شأنك بمالكة البستان ؟ أنا هنا مكانها .

ابراهيم : شكرا لك على كل حال . لكن دعنى وما اخترت لنفسى لو تكرمت .

معتوق : كما تحب يا أبا اسماعيل . اسمع الآن قبل أن أنسى . ان السيدة المالكة تنوى زيارة البستان اليوم ، ومعها صديقاتها من علية القوم ، فاجمع لها شيئا من التفاح ، ومن العنب ومن الرمان . تخير أجود ما فى البستان .

ابراهيم : سمعا يا سيدى (يخرج) .

معتوق : (يتمتم) يظن أننى سأسلم هذه الدراهم للسيدة المالكة . يا له من أحمق لكن من يدرى لعله يغتال لنفسه كثيرا من الفاكهة ، ويظهر لنا ورعه هذا خديعة منه ، لئلا تنكشف خيانته . انه كثير الصلاة كثير الذكر . لكن الا يجوز أن تكون هذه حبائله ؟ حبائل الشيطان ؟

غرفة فى القصر الذى فى البستان .

تجلس السيدة المالكة ومعها صديقتان لها حول مائدة وقد رفعت الصحاف ، وجاء دور الفاكهة فقدمت أطباق التفاح والعنب والرمان .

احداهما : هذه الفاكهة من بستانك ؟

المالكة : نعم . لا يوجد فى طرسوس كلها اجود فاكهة من هذا البستان .

الثانية : (تأكل من تفاحة فتكف) وى . هذه تفاحة حامضة .

المالكة : حامضة ؟

الاولى : (تأكل من عنقود عنب) والعنب ايضا حامض .

المالكة : حامض ؟

الاولى : الا تصدقين ؟ ذوقى ان شئت .

الثانية : وذوقى هذه التفاحة .

المالكة : (تتذوق من التفاح والعنب فتثور غاضبة) قبح الله هذا الوكيل ، يقدم لنا الفاكهة التى لم تنضج (منادية) معتوق ! يا معتوق !

معتوق : (يدخل) لبيك يا سيدتى .

المالكة : لا لبى الله لك صوتا . ما هذا الذى قدمت لضيوفى يا أحمق ؟ تفاح حامض وعنب حامض . قبحك الله . استأثر بالحلو وترمى لى ولضيوفى الحامض ؟

معتوق : معــــذرة يا مولاتى . الناطور هو الذى جمع الفاكهة .

المالكة : ويلك كيف تعتمد عليه فى امر كهــذا ؟ لمــــاذا لم تتخير انت بنفسك ؟

معتوق : ما خطر ببالى يا مولاتى انه لا يحسن اختيار الفاكهة .

المالكة : انت مسئول ايضا عن اختيار هــذا الناطور . الست انت الذى عينته ؟

معتوق : بلى يا مولاتى لما بلغنى من صلاحه واستقامته .

المالكة : ادعه لى الساعة .

معتوق : حالا يا مولاتى (يخرج منطلقا) .

المالكة : (تتخير من الأطباق ما تراه جيدا فتقدمه لصديقتيها) هذا حلو ، كلى يا فاطمــــــة . وانت يا خديجة كلى من هذا العنقود .

(يدخل معتوق ومعه ابراهيم)

المالكة : انت الذى جمعت لنــا الفاكهة اليوم ؟

ابراهيم : (خجلا يتقى النظر نحو النسوة) نعم يا سيدتى .

المالكة : اقصدت ان تحرجنى امام ضيوفى بتقديم هذا التفاح الحامض والعنب الحامض ؟

ابراهيم : معاذ الله يا سيدتى ان اقصد ذلك .

معتوق : الم اؤكد عليك ان تتخير اجود ما فى البستان ؟

ابراهيم : بلى وقــد ظننت انى فعلت ولكن لعلى اخطأت .

المالكة : ويلك تعــين ناطورا لا يميز بين الحلو والحامض ؟

معتوق : يا مولاتى غــير معقول انه لا يميز بين الحلو والحامض . لقد صار له عندنا اليوم عام ونصف عام فلو كان طفلا صغيرا لميز .

ابراهيم : (متلعثما) انا . انا .

المالكة : انت ماذا ؟ تكلم !

ابراهيم : انا لم اذق شيئا مما فى البستان .

المالكة : طوال هذه المدة لم تذق شيئا ؟ اضــحكن معى وتعجبن من هذا الناطور ! (يقهقهن ضاحكات)

معتوق : يا ابا اسماعيل لقد كنت اظنك صـــــالحا فما حملك على أن تكذب ؟

المالكة : وكذاب ايضا ؟ اى ناطور هذا ؟

ابراهيم : انا والله ما كذبت .

معتوق : هـــذه كذبة ثانيــة . يا مولاتى انه كثيرا ما يطلب منى ان اقتطع من اجره الشــــهرى دراهم معدودة يزعم انها ثمن ما اســتهلك لنفسه من فاكهة البستان فى بعض الايام . فكيف يزعم الساعة انه لم يذق شيئا من البستان قط ؟

المالكة : ما تقول فى هــذا ايها الناطور الورع ؟

ابراهيم : يا ســيدتى ارجو ان تبحثوا لكم عن ناطور غيرى فانى لم اعد أصلح لهذه المهنة .

النسوة : (يتضاحكن) مسكين . ان كان لا يصلح ناطورا فلأى شىء يصلح ؟

ابراهيم : سامحينى يا ســيدتى فيما بدر منى دون قصد :

المالكة : اذهب يا معتوق فاعطه حسابه .

معتوق : تعـــال معى يا ابا اسماعيل (يخرجان)
(شـــقيق البلخى ومعتوق أمام مصطبة ابراهيم وقد ظهر فى وجه شقيق الاسف والحزن) . .

معتوق : اقسم لك ما طردناه نحن ولكنه هو الذى استعفى .

شقيق : لا بد انكم أحرجتموه .

معتوق : بل هـــو الذى أحرجنى أمام سيدتى ، واحرج ســـيدتى أمام ضيوفها . والله لولا مكانه منك لكان لى معه شأن آخر .

شقيق : انت تظن انه كذبك حين قال انه لم يذق شيئا من البســـتان قط ؟

معتوق : لست اظن ظنا بل اوقن واجزم .

شقيق : انت لا تعرف هذا الرجل يا معتوق . لو كذب من فى الارض جميعـــا ما كذب هذا (تنظر المراة الفقيرة على باب البســـتان وتتطلع الى الرجلين)

معتوق : ما خطبك ؟ ماذا تريدين يا امراة ؟

المراة : سأنتظر حتى يجىء .

معتوق : من ؟

المراة : الناطور .

معتوق : ماذا تريدين منه ؟

المراة : (فى حذر) لا شىء . . حتى يجىء هو .

شقيق : (بلطف) يا ســـيدتى قولى ما عنـــدك ولا تخافى فأنا من اصدقاء الناطور .

معتوق : هل كان يعطـــيك من فاكهة البستان ؟

المراة : نعم . جزاه الله خيرا . أين هو يا سيدى ؟
(يتبادل شقيق ومعتوق النظر)

معتوق : انتظرى قليـــلا (يغيب لحظة)

المراة : (لشـــقيق) اين الناطور الطيب يا سيدى ؟

معتوق : (يعود بشىء من الفاكهة فيعطيه للمراة) خذى .

المراة : الناطور هو الذى اوصاك ان تعطينى ؟

معتوق : نعم .

المراة : جزاه الله خيرا وجزاكما انتما ايضا خيرا . ســـيفرح أطفالى اليتامى بهذه الفاكهة (تذهب) .

شقيق : ارأيت يا صـــاحبى لقد فاتك خير كثير اذ تركته يرحل عنك . اتدرى من كان هذا الرجل ؟

معتوق : من ؟

شقيق : ابراهيم بن ادهم .

معتوق : (فاغـــــرا فاه مـــن الدهشة) ابراهيم بن ادهم ؟

شقيق : نعم . نعم .

معتوق : لأبحثن عنه فى المدينـــة واعيده .

شقيق : هيهـــات . لا بد انه قد ترك المدينة الى مدينة اخرى .

معتـــوق : هلا اخبرتنى من الاول يا سيدى ؟

شقيق : لو عرف انك عرفته ما رضى ان يبقى عندك ساعة واحدة .

معتوق : وا اســـفاه على كنز ما علمت به الا حين ضاع !

حضارة الاسلام

وتحت عنوان رئيسى هو الحضارة الاسلامية Islamic Civilization وفى جملة فصول متوالية يعرض المؤلف قضيته الثالثة ، فينطلق كما عودنا بوضع النتيجة التى وصل اليها أولا وهى : **لم تعرف البشرية قبل ظهور الاسلام دينا سماويا أو غير سماوى قد قامت عليه حضارة بالمعنى السليم لكلمة حضارة .** وعلى هذا ، فلم يكن هناك فى رأيه حضارة يهودية قامت على الديانة اليهودية ، وكل ما هنالك ثقافة يهودية ، ولم تكن هناك حضارة مسيحية بل ثقافة مسيحية ، والفارق كبير بين الثقافة والحضارة ، فالاولى محلية Local محدودة والثانية واسعة وشاملة وأكثر انسانية .

وهذا المعنى العميق للحضارة قد تحقق بالنسبة للاسلام ، ومن ثم كانت الحضارة الاسلامية التى ضمت فى رحابها شعوبا مختلفة الى حد كبير . ولكن ، لماذا كان للاسلام حضارة ولم يكن لغيره ؟ أو ليكن السؤال بشكل آخر ، ما هى اسس الحضارة الاسلامية ؟

يجيب الاستاذ وات على هذا السؤال قائلا :

هناك أولا ذلك العصب الدينى الذى يلتقى حوله المسلمون ، وهذا العصب الدينى ينبض دائما وأبدا بكل ما هو انسانى وبناء .

وهناك ثانيا ذلك الدور الهام الذى جعل من كل مسلم مبشرا Missionory وجعل العمل على نشر الدين شرطا تفضيليا بين المسلمين ، ويقول المؤلف فى هذا الموضوع بالذات انه لو قام كل مسلم بتنفيذ الدعوة والتكليف كما ينبغى لصار الاسلام هو اساس الحكومة العالمية Cosmopolitism التى يحلم بوجودها السياسيون .

وهناك ثالثا ذلك القدر العظيم من التيسير الموجود فى الاسلام ، فالله لا يكلف نفسا الا وسعها ، وهذا التبسيط Simplicity من شأنه أن يحبب الناس فى الدين ، فيدخلون فيه أفواجا مما يوسع من القاعدة الاسلامية .

وهناك رابعا تلك الرحابة الرائعة الموجودة فى الاسلام والتى اصبح الاسلام بفضلها دينا يرفض الانغلاق حول نفسه ، ومن ثم يقول الاستاذ وات : ان الاسلام بسبب رحابته لم يتعصب لثقافة معينة أو لحضارة معينة ، بل على العكس ، فهو دين يحترم العقل غير الاسلامى الى درجة أنه قد فتح صدره لكل ما هو مفيد من الثقافات والحضارات الاخرى .

ثم هناك أخيرا ذلك التنسيق الشيق بين ما فى تركيب الانسان من ماديات وروحانيات ، فلم يطلب الاسلام التضحية بالدنيا من أجل الآخرة ، وانما طلب بذل أقصى جهد من أجل صالح الدنيا والآخرة ، من أجل النفع فى أمور الدين والدنيا ، **ولذا فالاسلام كما يقول الاستاذ وات : هو دين الحاضر والمستقبل ، دين اليوم والغد ، دين الانسانية ما شاء رب الانسانية أن يقوم لها مقام .**

وما أحسب بعد هذا كله ، أن كلمات هذا المقال ، تعطى الاستاذ المستشرق مونتجمرى وات حقه ، أو تعطى كتابه « الاسلام والحضارة ٢٨٠ » صفحة حقه أيضا . وكل ما قلته عن الرجل وكتابه لا يتعدى فى تقديرى مجرد اشارة ، وان كنت أتمنى أن يترجم هذا البحث الطيب وينشر مسلسلا فى احدى المجلات العربية الاسلامية ، ثم تجمع الاجزاء المنشورة بعد ذلك فى كتاب ، وبهذا الاسلوب نستطيع أن نعرف قارىء المجلات أو قارىء الكتب بهذا البحث العظيم .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

التوكيل فى الزواج

شخص يريد الزواج من بنت بالغة رشيدة . فهل يجوز لها ان توكل شخصا آخر ليجرى عقد الزواج بالنيابة عنها سواء كان عقد الزواج فى بيتها أو فى مكان آخر . (محمود) .

الاجابة :

يجوز التوكيل فى كل تصرف يصح أن يباشره المرء بنفسه والقاعدة : « أن كل عقد جاز أن يعقده الانسان بنفسه جاز أن يوكل به غيره » ، والوكيل مقيد فى تصرفاته بما يأمره به الوكيل ، فان خالفه لا ينفذ تصرفه عليه ويشترط فى التوكيل ان يملك الموكل حين التوكيل ما يوكل فيه ، فلا يصح التوكيل فيما لا يملكه .

وقد اختلف الفقهاء فى التوكيل فى عقد الزواج ، فيرى الأحناف ان للمراة الحرة البالغة الرشيدة ان توكل غيرها فى النكاح ، لأنها تملك اجراء العقد بنفسها لعدم اشتراطهم الولى بالنسبة لها ، ويؤولون الأحاديث الواردة بشأن الولى بأنها خاصة بغير البالغة الرشيدة ، ويستندون الى قوله عليه الصلاة والسلام : « الأيم احق بنفسها من وليها » والأيم هى من لا زوج لها بكرا أو ثيبا ، ويرى جمهور الفقهاء من مالكية وشافعية وحنابلة أن المراة لا يجوز لها التوكيل فى عقد النكاح اذ لا بد فيه من وجود ولى ــ لأنه ليس لها حق توليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا نكاح الا بولى » . ولقوله : « أيما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل » . ومن لا يملك شيئا لا يجوز له أن يوكل غيره فيه . فوليها هو صاحب الشأن فى أن يباشر العقد بنفسه أو يوكل غيره عنه .

وعلى هذا يجوز للبنت البالغة الرشيدة بكرا كانت أو ثيبا أن توكل غيرها فى اجراء عقد زواجها ــ على رأى الأحناف ولا يجوز لها أن توكل غيرها فى هذا العقد على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء .

فى الطلاق

تزوجت امراة زواجا شرعيا صحيحا وتركتها بالسودان منذ سنة ١٩٦٥ حيث حضرت للعمل بالكويت ــ والمكاتبات بيننا مستمرة وهى تعرف مكانى وعملى ، ولكن حدث أن أخى أجرى طلاقها منى دون أخذ توكيل منى أو تفويض . فما حكم الشريعة فى هذا الطلاق ؟ . (احمد محمد على) *.

الاجابة :

الزواج شرعا هو عقد بقيد حل استمتاع كل من الرجل والمراة بالآخر ، وركنه الايجاب من احد الزوجين والقبول من الآخر ، واذا تم علي هذا الوجه مستوفيا شروطه فلا يفصم عراه الا الطلاق أو الموت ــ والزوج هو وحده دون سواه الذى يملك أن يرفع قيد النكاح ــ وله ان يطلق بنفسه او يوكل عنه .

وبما ان السائل لم يطلق كما لم يفوض او يوكل أخاه في طلاق زوجته المذكورة فيكون هذا الطلاق الذى حصل بدون علمه غير صحيح ، وتكون هى فى عصمته ، ولا يحل لها أن تتزوج بغيره ، اذ أن عقد زواجهما لا يزال قائما ــ ومن ثم فكل عقد عليها لرجل غيره يكون باطلا وغير مقبول شرعا .

في الشفعة

لى بيت يلاصق بيت جاري والحائط بيننا واحد وجارى رهن بيته ثم أراد بيعه للمرتهن . فهل يجوز لى أن آخذه بالشفعة ؟

(محمد حمود الراسبى) .

الاجابة :

الشفعة هى حق تمليك العقار المبيع كله او بعضه جبرا للشفيع مقابل دفع الثمن المناسب والمصروفات التى قام المشترى بدفعها .

وقد وردت بها السنة فى أحاديث كثيرة ، فقد روى عن عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة بين الشركاء فى الأرضين والدور . واختلف الفقهاء فيها فقال البعض : ان القياس يأبى ثبوت الشفعة لأن الشفيع يتملك ملكا صحيحا له بغير رضا المشترى وذلك لا يجوز ، وفى الحديث : « لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه » فلا يحل لأحد أن يدفع الضر عن نفسه بالاضرار بغيره فالشفعة عقبة فى سبيل حرية تصرف المالك فى ملكه ، ومن ثم فقد تدفع البائع أن يترك فى عقد البيع مساحة صغيرة من العين المبيعة ليمنع تلاصق الملك المبيع لملك الشفيع ، وقد يهبها البائع للمشترى ، وقد تكون سببا فى أن يبالغ الطرفان فى الثمن .

وبناء على ذلك ذهب جمهور الفقهاء الى عدم جواز الشفعة للجار ، وخالف ابو حنيفة الجمهور ، فذهب الى الجواز كما اجاز التحايل لاسقاطها بأن يهب البائع الى المشترى الجزء المجاور للشفيع حتى لا يتمكن الجار من الشفعة ، هذا من حيث الحكم الشرعي فى حد ذاته ، أما من حيث حكم القضاء فانه في بلد يجوز أن يختلف عن الآخر نظرا لاختلاف المذهب فبعض البلاد يجوز أن يأخذ برأى الامام الشافعى والامام مالك ، فيمنع الشفعة ، وبعضها يأخذ برأى الامام ابى حنيفة ويجيز الشفعة . فعليه البحث عن الجواز وعدمه فى التشريع المعمول به فى بلده .



اشراف رضوان البيلي

التقويم الهجري

وقعت على اثر يفيد ان النبى صلى الله عليه وسلم ارخ بالهجرة . فقد جاء فى كتاب تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ٢٥٦ عن أبى طاهر بن محمش الزيادى انه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران ، وامر عليا رضى الله عنه ان يكتب فيه انه كتب لخمس من الهجرة ، . . فكيف يتفق هذا مع ما هو معروف من ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى وضع التاريخ الهجرى .

واذا كانت الهجرة النبوية تمت فى شهر ربيع الأول كما هو معروف فلم لم يجعل هذا الشهر مبدأ للتاريخ الاسلامى بدلا من المحرم .

سمهان الراشد ــ الكويت

لم يكن للعرب قبل الاسلام مبدأ ثابت يؤرخون به أحداثهم ، بل كانوا يؤرخون بأشهر الحوادث التى تقع بينهم ، فاذا وقعت حادثة كبيرة ارخوا بها الى أن يقع حدث آخر كبير فيؤرخون به ، ويتركون التأريخ بالحادثة السابقة عليه وهكذا .

ومن اشهر الحوادث التى ارخوا بها بناء الكعبة ، وكان ذلك فى ١٨٥٥ قبل الميلاد ، ثم أرخوا بانهيار سد مأرب ، باليمن والمرجح ان انهياره كان سنة ١٢٠ ق . م . ولم يستقر تأريخهم بهذا الحادث ، بل أرخوا بعد ذلك بموت كعب بن لؤى جد الرسول السابع ، وقد مات سنة ٦٠ ميلادية ، ثم أرخوا بعام الفيل بعد هذه الحادثة ، ولما هاجر الرسول الى المدينة أرخوا بالهجرة ، ولما شرع القتال فى السنة الثانية من الهجرة ارخوا بها ، ولما حج الرسول حجة الوداع فى السنة العاشرة ارخوا بها ، فلم يكن لهم تاريخ ثابت ، وقد ارخ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى نجران بالهجرة جريا على هذه العادة المتبعة فى العرب من قديم .

اما الذى جعل الهجرة نقطة ثابتة لمبدأ التاريخ الاسلامى فلا يتغير بتجدد الحوادث فهو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد وردت عدة روايات تؤكد هذا . قال ميمون بن مهران : جمع عمر وجوه الصحابة ، فقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت ، فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك . فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم ، فقيل : انه يطول ، وانهم يكتبون من عند

ذى القرنين . فقالوا : يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس ، فاستحضر عمر الهرمزان ، وسأله عن ذلك ، فقال : ان لنا حسابا نسميه (ماه روز) معناه حساب الشهور والأيام ، فعربوا الكلمة وقالوا : مؤرخ ، ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ، ثم طلبوا وقتا يجعلونه مبدأ لتاريخ دولة الاسلام قال قرة بن خالد : فأراد عمر والناس أن يجعلوا المبدأ من البعثة النبوية ثم عدلوا عن ذلك ، وقالوا من الوفاة ، ثم عدلوا وقالوا من المولد ، وقال على رضى الله عنه : منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك يعنى يوم هاجر ، فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة ، فلو كان الرسول اشار بجعل الهجرة مبدأ ثابتا لتاريخ المسلمين لنزلوا على رايه ، ولما كان هناك مجال للاقتراحات السابقة .

وقد اتخذ أول المحرم من السنة التى هاجر فيها النبى مبدأ للتاريخ مع ان الهجرة لم تقع فى هذا اليوم ، فالثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غادر مكة فى الأيام الأخيرة من شهر صفر ، ومكث ثلاث ليال فى غار ثور ، ثم خرج منه ليلة غرة ربيع الأول قاصدا المدينة ، ووصل الى قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، واستراح هناك ايام الثلاثاء والأربعاء والخميس ، ثم شرف المدينة يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول .

وانما اعتبر المحرم مبدأ للتاريخ ولم يعتبر شهر ربيع الأول الذى تمت فيه الهجرة مبدأ له لأن المحرم هو اول شهور السنة عند العرب ، وتغييره يحدث اضطرابا فى التاريخ ، ومما يذكر أن التاريخ الميلادى لم يحسب من مولد المسيح عليه السلام فقد ولد فى ٢٥ ديسمبر ، وانما حسب من يناير السابق عليه لأنه كان مبدأ للسنة من عهد سابق على مولد المسيح ببضعة قرون .

المقاييس الزمنية

ما هو الأساس الذى بنى عليه تقسيم الزمن الى سنة وشهر واسبوع ويوم ، ومن الذى وضع أسماء الشهور العربية .

سعيد الفرا ــ لبنان

وضع الانسان من اقدم العصور مقاييس للزمن وهى اليوم والسنة الشمسية والشهر القمرى ، واعتمد فى هذه المقاييس على حركة الأرض حول نفسها ، وحركة الأرض حول الشمس ، وحركة القمر حول الأرض .

فاليوم هو الفترة التى تتم فيها الأرض دورة واحدة حول محورها ، ويبدأ اليوم عند العرب من غروب الشمس ويمتد الى غروبها التالى ، فالليل سابق النهار ، وعند الافرنج يبدأ اليوم من نصف الليل ، ويمتد الى نصف الليل التالى ، فالنهار يقع بين نصفى ليلة .

والسنة الشمسية هى المدة التى تتم فيها الأرض دورة كاملة حول الشمس .

والشهر القمرى هو المدة التى يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض .
والأسبوع هو سبعة ايام وليست له علاقة بالأجرام السماوية .
وكانت للشهور العربية اسماء غير الأسماء الحالية . وفيما يلى اسماؤها القديمة وما يقابلها من الأسماء الحالية :

	الاسم الحالى	الاسم القديم
١	المحرم	المؤتمـــــر
٢	صفر	ناجـــر
٣	ربيع الأول	خـــوان
٤	ربيع الآخر	صـــوان
٥	جمادى الأولى	حنتـم
٦	جمادى الآخرة	زبـاء
٧	رجب	الأصـم
٨	شعبان	عـادل
٩	رمضان	نـافق
١٠	شوال	واغـل
١١	ذو القعدة	هـواع
١٢	ذو الحجة	بـرك

ويقال ان الأسماء الحالية وضعت فى عهد كلاب بن مـــرة فى منتصف القرن الرابع الميلادى . وقيل وضعت فى مبدأ القرن الخامس .

لن يهزم التلمود الا القرآن

اما لهذا الليل ان ينجلى .. اما لهذه الغمة ان تنكشف .. اما لهذا العار ان يغسل .. ولو تركت للقلم ينفس عن الالم الحبيس المحرق لملأت الصفحات « بأمات » لا نهاية لها نطالع الصحف ، ونســـمع الأخبار ، ونقرأ التصريحات والبيانات ، ونتتبع الاجتماعات واللقاءات ونلاحق الوساطات ، ولو تركت نفسى تملى على قلمى « واوات » من هذا القبيل لما توقفت عن الاملاء .

كادت السنة تمضى على « وكسة » ٥ حزيران ، والعـــدو لا تنقطع اعتداءاته . ولا تفتر تحدياته ، فالى متى يظل الأقصى فى قبضة اليهود ، والى متى تظل فلسطيننا الحبيبة مرتعا للغاصبين . فهل الى مرد من سبيل ؟..

فوزان الشعار

يا صاحب « الامات » و (الواوات) لا يبلغ بك اليأس مداه حتى يجعـل الدنيا فى عينك أضيق من سم الخياط ، ولو أنك قرأت قول الله عز وجل « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » لتجدد أملك وقوى عزمك ، وعظمت ثقتك بالوصول الى الأقصى والعودة الى الوطن السليب .. ان حياة الأمم نصر وهـــزيمة . والأمة الباقية هى التى تصمد للهزيمة ، ولا تستسلم لها . ولو كانت الأمم تقوم على النصر وحده لما كتب الله على رسولنا صلى الله عليه وسلم تجربة أحـــد وحنين . ان النصر لم ينتزع منا ، وانما سرق منا فى اغفاءة غشيتنا حتى ظننا انفسنا ايقاظا ونحن رقود ، ويقظتنا فى ايقاد جذوة العقيدة فى قلوبنا ونفوسنا وصدورنا . فى استيلاء العقيدة على مشاعرنا وأحاسيسنا . فى سيطرة العقيدة على أهوائنا وشهواتنا ، حين يقول الأب لولده انى برىء منك حتى تجاهد . وحين يقول الولد لأبيه بيتنا فى ميدان المعركة ، وحين تدفع الأم وحيدها الى ساحة القتال ، وتشيح بوجهها عنه اذا تلكأ .. حين تقول الخطيبة لخاطبهـــا لا يضمنا مضجع حتى تأتى برأس بن غوريون . وتحز رقبة ابن ديان .. حين تقول العروس لزوجها بيت عرسنا فى القدس وحيفا وعكا ويافا فى داخـل الوطن الحبيب .. حين توجد هذه العقيدة بهذه القوة ننصر القرآن ، ولا يهزم التلمود الا القرآن .

قالت صحف العالم

الذين حطموا أسطورة قوة العدو

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة الدعوة السعودية تقول :

جميع الدلائل والوقائع والأحداث السريعة المتلاحقة تحمل فى طياتها نذر حرب يهودية عدوانية جديدة واسعة النطاق .. لا نقول ان الشرق العربى الاسلامى ينتظر انفجارها المدمر بين سنة وسنة أو شهر وآخر بل بين يوم وآخر ان لم نقل بين ساعة وساعة .. ذلك أن المسافة الزمنية فى تجدد العدوان والغزو اليهودى الاستعمارى المجرم على الأمة العربية ـ أصبحت مسافة تخنقها الأحداث ويطويها مرور الوقت سريعا مع اتضاح فشل الحل السياسى ويأس العدو من تحقيق مآربه التى علقها على عدوان ٥ حزيران الماضى .

كان عدوان اسرائيل يوم الخميس الماضى على مخيمات اللاجئين شرقى نهر الاردن يستهدف فى التخطيط الصهيونى اكثر مما أعلن رسميا وهو الزعم بأنه لمجرد تدمير مراكز الفدائيين العرب .. كان يستهدف احتلال الضفة الشرقية من النهر والمساومة على البقية الباقية من المملكة الأردنية ، فاما ان تتحقق مطالبها بقيام مفاوضات بينها وبين العرب مجتمعين ، أو كل دولة بمفردها أو يستمر التهامها للبلاد العربية قطرا بعد قطر ما دامت تشعر بتفوقها العسكرى ومساندة بعض الدول الصليبية الكبرى لعدوانها وعجرفتها .. ولكن الفدائيين ورجال الجيش الأردنى الباسل لقنوها درسا قاسيا لعله أول درس يلقنه العرب لاسرائيل منذ هزيمتهم فى حرب حزيران الماضى .. وردوها خاسرة مندحرة .. ولكن ليس معنى هذا أنها لن تعاود الكرة بل هى تستجمع قواها وتختلق الأسباب والمعاذير الواهية الرعناء لمعاودة العدوان على مستوى تعتقد أنه يضمن لها النصر وبالتالى التوسع والامتداد على مزيد من الأراضى العربية .

ان للعرب أن يفخروا بما حققه رجال المقاومة الفلسطينيون والجيش الأردنى من نصر حاسم فى معركة الخميس الماضى .. لقد رفعوا رؤوس العرب عالية واثبتوا للعالم اجمع أن الجندى العربى حين يؤمن بقضيته ويمسك السلاح بيده ويتدرب جيدا على استعماله فانه يفعل به الأعاجيب ويحطم به اسطورة التفوق التكنولوجى لجنود العدو مهما بلغت قوة هذا العدو وحشده واستعداده

تعليق اردني

ونقلا عن وكالة انباء الشرق الأوسط ننقل للقراء هذا التعليق :

اكدت الصحف الاردنية ضرورة عقد مؤتمر القمة العربى الخامس ودعم الأردن فى كفاحه ضد العدوان الاسرائيلى . . وقالت الصحف ان العدوان لم يعد يهدد الأردن وحده ولكن يهدد الأمة العربية كلها ، ويجب ان يدرك العرب جميعا ذلك .

جاء ذلك فى معرض تعليق الصحف الأردنية على المؤتمر القومى الذى عقده الملك حسين ملك الأردن وتحدث فيه الى كبار الشخصيات الأردنية عن تطورات الموقف الراهن .

وشنت صحيفة الدستور الأردنية هجوما كبيرا على الوضع العربى وقالت ان الأردن يتعرض لأشد انواع الضغط السياسى من جانب العدو والى اشد الخذلان من الجانب العربى فى الوقت نفسه .

وقالت الصحيفة ان العرب يعترفون نظريا بأن قضية فلسطين هى قضيتهم جميعا ، ولكنهم عمليا يتسرفون وكأن القضية قضية اردنية أو مصرية فقط .

وقالت صحيفة الدفاع انه ليس من شفيع لهذه الأمة العربية ان هى لم تلق بكل ثقلها فى الموقف الحالى الذى قد لا يكون بعده اية مواقف حاسمة او اية مواقف على الاطلاق .

علم على الحرمين ذكرهم

وطالعتنا صحيفة الحياة البيروتية بالقصيدة التالية : للشاعر اللبنانى جورج صيدح

حجوا جناح الله واعتصموا ... يا قاضى الحاجات كن لهموا
الله يسمع ما يخالجهم ... ان سد آذان الورى صمم
والركن يلمس فى شعائرهم ... شكوى تضيق ببثها الكلم
ما كان يوم النحر يشهدهم ... عربا يطوق نحرهم عجم !
طافوا ، ولولا أنهم خجلوا ... من ربهم عادوا وما استلموا
ان الحجيج يحثهم امل ... غير الحجيج يحزهم ألم
علم على الحرمين ذكرهم ... بالثالث الهاوى به العلم
بالمسجد الأقصى ، بجيرته ، ... بمآتم فى العيد تنتظم
بخلائق نحران وما سمعت ... ذكرا عليه ينحر الغنم ،
بفواجع فى الدور نازلة ... لم تنج من اهوالها الخيم
حملت فلسطين الوفود الى ... قبر الرسول اليه تحتكم
تستشفع الأضحى وحرمته ... فى موطن هانت به الحرم
فى امة « للبيت » زاحفة ... والغاصبون ببيتها ازدحموا . .
ساح الوغى تشتاق همتها ... فى القدس ان كانت لها همم . .

* **

قسما باوطان اقدسها ... ان جاز بالقدوسة القسم
للعرب أوضاع اذا انحطمت ... اضلاع اسرائيل تنحطم
نحن البراكين التى خنقت ... لم يرم فى احشائها ضرم
لا ينصر الله العباد اذا ... كرمت اصولهمو وما كرموا

الايمان اولا

تلقينا من الأستاذ توفيق على وهبة من القاهرة كلمة تحت هـذا العنوان جاء فيها :

قبل أن ندخل اى معركة يجب أن نعرف اولا لماذا نحارب ؟ أننا نحارب فى سبيل الله من أجل اعلاء كلمته ودفع العدوان عن أرض الاسلام . ان الدفاع عن الدين وعن الأرض وعن المسلمين فرض على كل مسلم ومسلمة . فالقضية الفلسطينية ليست قضية سياسية فقط ، وليست قضية تشريد مليون ونصف مليون عربى ، وانما هى قبل كل هذا قضية هـذا الدين ، فاليهود هم الأعداء الألداء للأديان وللبشرية جمعاء : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » انهم يحاولون القضاء على الاسلام حتى يمكنهم البقاء فى أرض فلسطين التى اغتصبوها « ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

يجب أن يعرف جنودنا البواسل انهم يجاهدون فى سبيل الحفاظ على دين الله واعلاء كلمته ، وعليهم أن يقاتلوا اليهود بكل شـدة حتى يقتلوهم : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم .. »

والجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال وبكل ما يملك المسلم . فالتطوع فى صفوف الجيش أو المقاومة الشعبية ، والتبرع بالمال أو الدم ، وتقديم العون للقوات المحاربة جهاد فى سبيل الله .

من واجبنا أن نؤمن بالله وبعدالة قضيتنا وان نقف صفا واحدا ضد عدونا لا ترهبنا قوته ولا من يقفون وراءه فقد وعدنا الله بالنصر على اليهود حيث قال : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسـدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا . ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » . كما بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق النصر على اليهود فقال : « يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر للمسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعال فاقتله » . فيومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الجمال

وتلقينا من الشيخ محمد سليمان الأشقر أمين مكتبة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت كلمة بهذا العنوان جاء فيها :

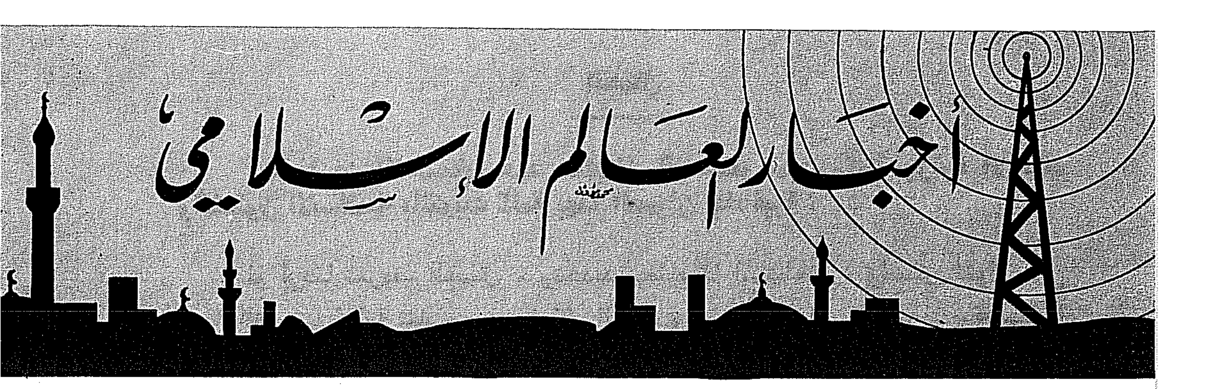
لو اردنا تعريف الجمال ، وتحديد معناه لما استطعنا ، ولكن نقول على وجه التقريب : انه تناسب فى شكل الشيء ولونه وسائر صفاته . وهذا التناسب يبعث فى النفس الانسانية قوة الاحساس بالجمال ، والشعور به ، والابتهاج له . ومن الناحية المقابلة بث الله تبارك وتعالى الجمال فى مخلوقاته المتنوعة . فالجمال نراه فى تركيب الذرة ، ونراه فى صور الجمادات المختلفة من الجبال والأنهار والبحار والشمس والقمر والنجوم . ونرى الجمال ايضا فى اصناف النبات ، فنراه فى اوراق الشجر ، ونراه فى أزهارها ذات الأشكال الدقيقة ، والألوان المتناسقة والروائح العطرة . ونراه فى المناظر الخلابة للحدائق الغناء ، والغابات الملتفة والمروج الخضراء . (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) . سورة ق .

هذه ولو ترقينا فى سلم الموجودات من الجماد والنبات الى الحيوان لرأينا صورا من الجمال أعجب ، وأجلب للنظر والعبرة ، فنرى الأشكال الرائعة والألوان الزاهية فى الطيور كالطاووس والعندليب والببغاء وغيرها ، ونرى الى جانب ذلك الأصوات الجميلة التى تمتع السمع ، والحركات البديعة فى الرفرفة والطيران .

والجمال الانسانى ظاهر وباطن : فالظاهر هو الصورة الحسنة ، واللون الحسن ، والهيئة والقامة المعتدلة ، والأعضاء المتناسبة . وقد شرع الله لنا تكميل الجمال الظاهر بلبس الثياب الحسنة التى تستر ما يقبح ظهوره من السوءات ، وتزيد فى الجمال بأشكالها المختلفة .

وعرض هذا الجمال الانسانى للأعين التى لا يحل لها ، واستخدامه كسلعة فى سوق الدعاية والاعلان والتجارة ، هو حط للكرامة الانسانية ، وفتنة شيطانية يمقتها الله ورسوله والمؤمنون .

اما الجمال الانسانى الباطن ، فهو فى هذه النفس الانسانية العجيبة ، التى وهبها الله القوى المختلفة من الاحساس والشعور والعواطف والانفعالات ، والادراك والنظر والفهم والتعقل والتدبر . وجمال النفس فى أن تكون هذه القوى متجهة نحو اهداف الخير والنفع لبنى الانسان ، وأن تكون دافعة الى سلوك الطريق السوى فى الحياة ، الذى يوصل الى رضوان الله فى دار كرامته . وأن تكون النفس متصفة بالحلم ، والصدق ، والشجاعة ، والتواضع ، طاهرة من أدناس الحسد والبغضاء والكبر والمذلة والتفاهة .



الكويت

قام جلالة الملك فيصل بزيارة البلاد لمدة ٤ أيام ابتداء من ٨ ابريل الماضي . كما قام جلالة الملك حسين بزيارة سمو أمير البلاد المعظم وأمراء الخليج .

احتفلت الكويت رسميا وشعبيا بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلا كبيرا تحدث فيه معالي الوزير وبعض السادة العلماء .

رفعت اللجنة الدائمة للمعونات برئاسة سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية توصياتها الى مجلس الوزراء بشأن مطالب بعض الهيئات الاسلامية في الخارج .

● أخرجت وزارة الاوقاف كتابها الثاني من سلسلة التراث الاسلامي وهو كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » وكان كتابها الاول الفوائد في مشكل القرآن . .

اختتمت وزارة الأوقاف موسمها الثقافي الثالث بمحاضرتين ألقاهما الدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الاسلامية .

القاهرة :

قام رئيس جمهورية الصومال بزيارة للجمهورية العربية المتحدة استمرت عدة أيام . كما قام الملك حسين بزيارة قصيرة للقاهرة .

أفرج عن (٢٠٠) من المعتقلين من الاخوان المسلمين وبذلك — كما قالت الأهرام — لا يبقى منهم في السجن الا المحكوم عليهم بالفعل .

بلغ عدد الطلاب الوافدين على القاهرة للدراسة (٤٠) الفا من (١٢٩) دولة منهم (٣٠) الفا من العرب عدد الذكور منهم (٢٤٨٩٨) وعدد الاناث (٥٠٩٨) (احصائية) .

السعودية :

رحب جلالة الملك فيصل في اجتماع عقد مع الشيخ احمد بن علي آل ثاني حاكم قطر في الرياض باتحاد امارات الخليج ووعد بمساعدته وتدعيمه على أوسع مجال .

أمر جلالة الملك فيصل بتشكيل مجلس من العلماء لاقامة حدود مرئية لجبل عرفات بعد ما لوحظ أن بعض الحجاج يخطئون في الوقوف بعرفة .

قررت وزارة المعارف معادلة الشهادة الثانوية للمعهد الديني بالكويت بثانوية دار التوحيد بالسعودية .

العراق :

قام عظمة حاكم البحرين بزيارة الى العراق في الشهر الماضي وقد أجرى مباحثات هامة حول تأكيد عروبة الخليج وحمايتها . كما قام الملك حسين بزيارة

قصيرة لبغداد .

قبلت جامعة الأزهر (٤٦) طالبا عراقيا هذا العام .

الأردن :

فشلت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الاردن فى النيل من حركة المقاومة العربية وقد اعلن زعيم منظمة فتح أن الفدائيين باستطاعتهم ارجاع الحق الى نصابه اذا حصلوا على الامكانيات اللازمة .

دعا جلالة الملك حسين مجددا بسبب تكرر العدوان الاسرائيلى الى عقد مؤتمر قمة عربى .

اعترفت اسرائيل فى مذكرة بعثتها الى القيم الدولى على الآثار فى الأرض العربية بأنها قصفت بالقنابل والصواريخ الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية كما اعترفت بضرب قبة الصخرة وتحطيم الباب الأوسط للمسجد الأقصى وتحطيم متحف الآثار الفلسطينى .

لبنان :

شكل المجلس الوطنى الفلسطينى من مائة عضو وقد مثلت فيه منظمة فتح ومنظمة تحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومنظمتان سريتان اخريان .

الجزائر :

بلغ عدد سكان الجزائر وفق آخر احصاء اثنى عشر مليونا ومائة الف شخص منهم ٨١ر٥ يتكلمون العربية و ٠.٤ر يتكلمون الفرنسية ونسبة الأمية ٦٤ر٦ والمثقفين بالعربية ٨٥ر٥ .

المغرب :

قام جلالة الملك الحسن بعدة زيارات الى عدد من الاقطار الاسلامية منها تركيا وايران والسعودية .

ليبيا :

بدأ السيد عبد الحميد البكوش رئيس وزراء ليبيا فى ٢ ابريل الماضى جولة فى عدد كبير من دول العالم لشرح السياسة الليبية تجاه القضايا العربية .

الباكستان :

وضع معهد البحوث الاسلامية فى باكستان مشروعا كبيرا لاعداد كتب وموسوعات علمية عن تاريخ العرب والحركات الاصلاحية .

قامت مظاهرات ضخمة فى كراتشى احتجاجا على الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الأردن وقد اعلن الرئيس ايوب خان أن باكستان تضع كل امكانياتها الاقتصادية والعسكرية مع الأردن وانها مستعدة لتقديم اى معونة للدفاع عن العرب .

اعرب الرئيس خان عن اسفه الشديد لغرق باخرة تحمل (٤٤٤) حاجا باكستانيا بالقرب من ميناء دبى فى الخليج العربى وقد غرق فيه حوالى (٢٠٠) شخصا . ومما يذكر أن أمير دبى والأهالى هناك جمعوا تبرعات للمنكوبين .

الهند :

انشأت الجامعة الاسلامية فى عليكرة مركزا للدراسات تتناول شئون بلدان غرب آسيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومنها تركيا وايران وافغانستان والدول العربية .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

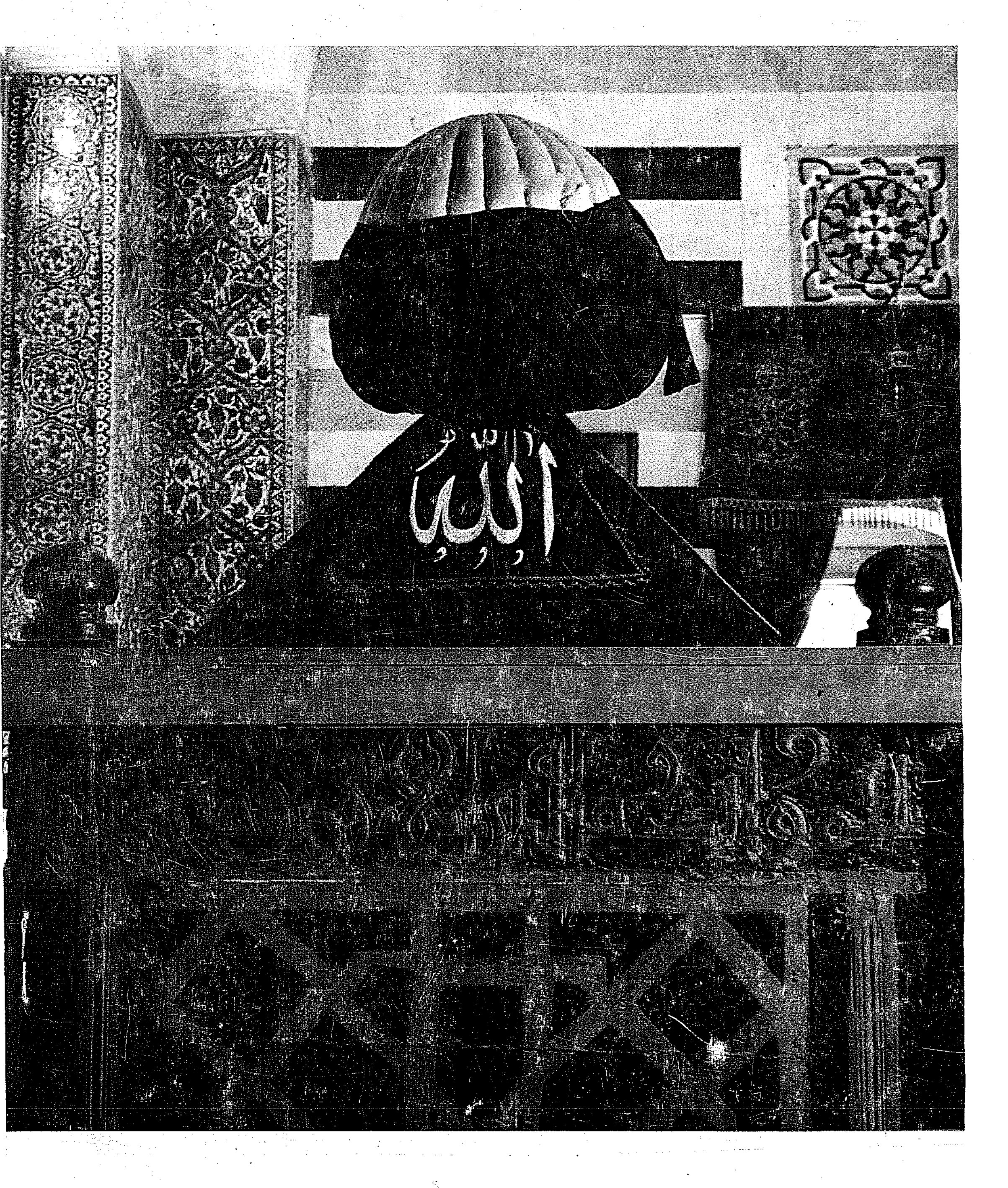
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



هنا يرقد منقذ المسجد الأقصى البطل صلاح الدين فى مقبرته الخاصة به
بجانب المسجد الأموى بدمشق .
من من زعماء المسلمين يشتاق الآن لمثل هذه البطولة ؟